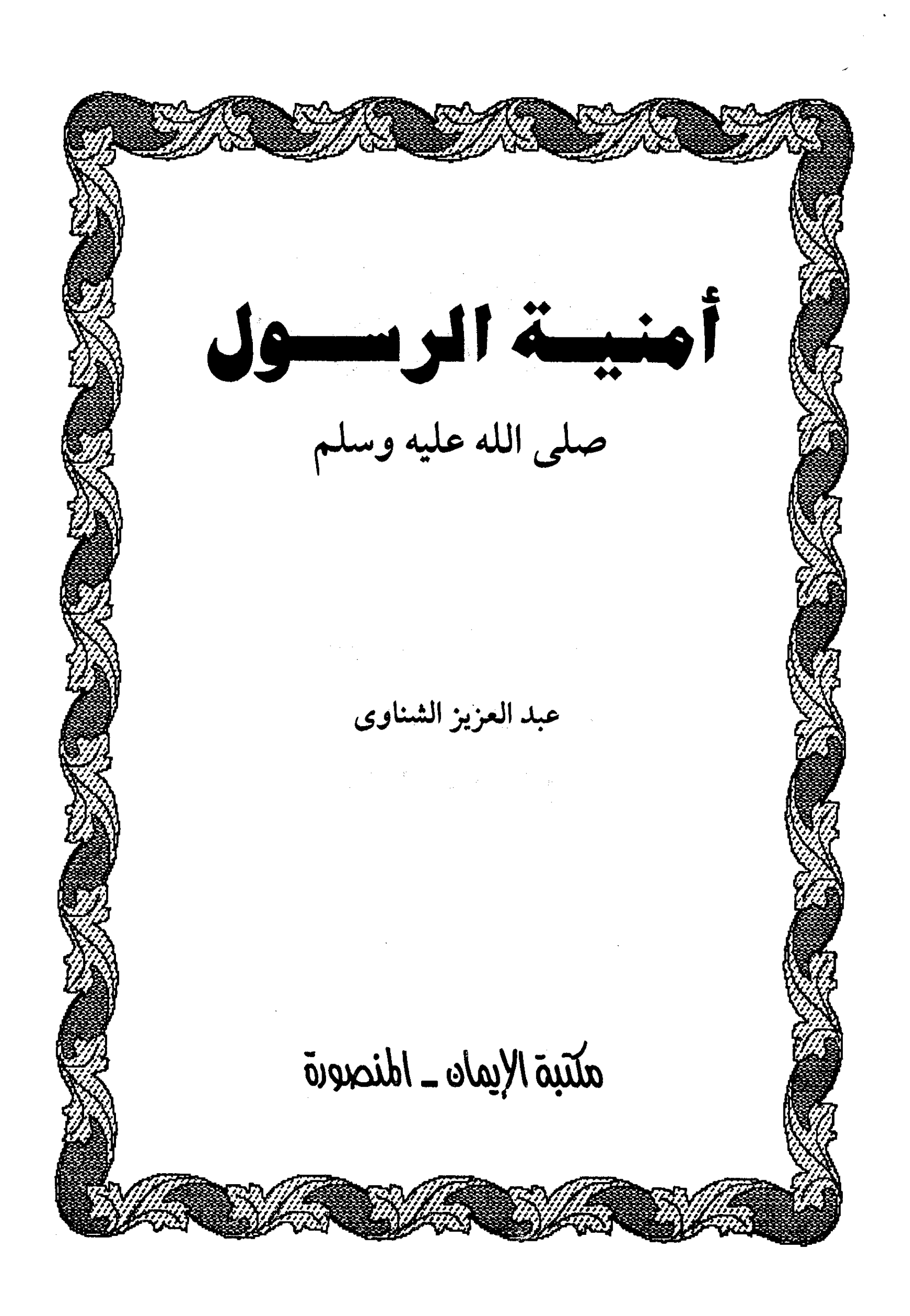


أمنيــة الرســـول

صلى الله عليه وسلم

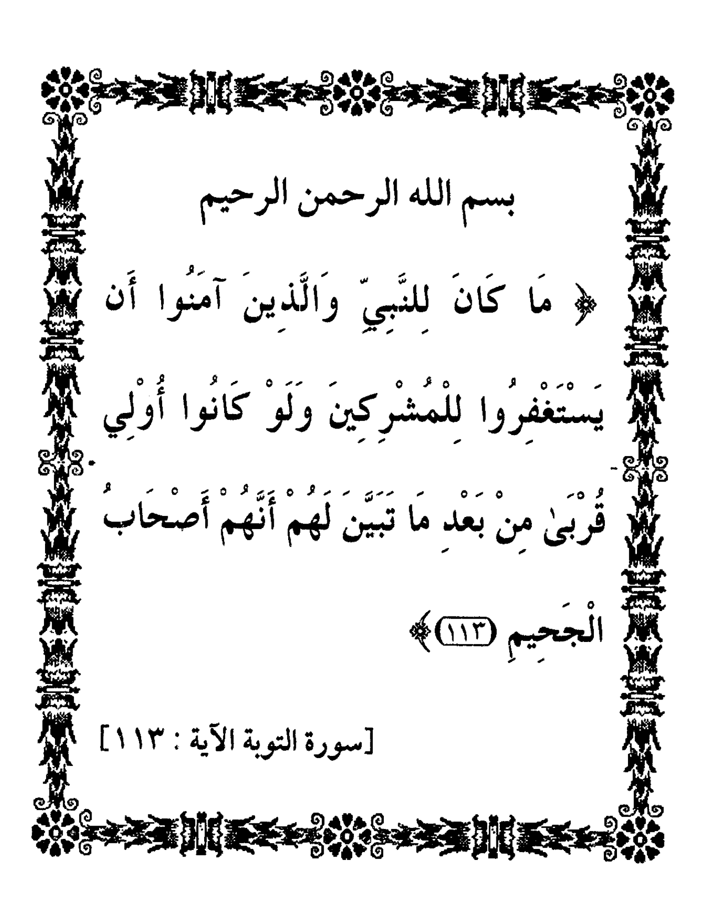
عبد العزيز الشناوى

مكتبة الإيمان ـ المنصورة



الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣) ﴾

[سورة التوبة الآية : ١١٣]

أبو طالب

*** نسبه :**

هو عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف

عم رسول الله ﷺ .

*** كنيته :**

يكنى أبا طالب بابنه طالب

*** أولاده :**

طالب ، عقيل ، جعفر ، أم هانئ ، على

*** كفالته لابن أخيه ﷺ :**

لما حضرت الوفاة عبد المطلب بن هاشم كان حفيده محمد بن عبد الله ﷺ فى الثامنة من عمره فأوصى به ﷺ إلى عمه شقيق أبيه أبى طالب.

ولما هلك عبد المطلب كفله أبو طالب وأحبه حبا شديدًا لا يحبه لأحد من ولده ، وكان لا ينام إلا جنبه ، وكان يخصه بأحسن الطعام .

وقيل:

لما مات عبد المطلب اقترع أبو طالب والزبير ـ كانا شقيقى عبد الله بن عبد المطلب ـ فخرجت القرعة لأبى طالب .

وقيل :

بل هو ﷺ اختار أبا طالب لما كان يراه من شفقته عليه وموالاته له قبل موت جده عبد المطلب .

وقيل :

كفله ﷺ عمه الزبير بن عبد المطلب حين مات عبد المطلب ، ثم كفله أبو طالب بعد موت الزبير .

وقيل :

لما مات عبد المطلب كان عمر محمد بن عبد الله ﷺ ثمان سنين سئل النبى الخاتم ﷺ :

ـ أتذكر عبد المطلب ؟

قال السراج المنير ﷺ :

ـ نعم وأنا يومئذ ابن ثمان سنين .

تقول أم أيمن ـ بركة بنت ثعلبة حاضنة رسول الله ﷺ ـ :

ـ كان رسول الله ﷺ يبكى خلف سرير عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين .

وقيل :

كفل محمد بن عبد الله ﷺ عماه الزبير وأبو طالب ، ثم مات الزبير ولمحمد ﷺ من العمر أربع عشرة سنة فانفرد به أبو طالب .

وقيل :

لما هلك عبد المطلب كان محمد بن عبد الله ﷺ مع عمه أبى طالب بن عبد المطلب ابن هاشم ، وكان عبد المطلب يوصى به أبا طالب ـ عبد مناف ـ وذلك لأن عبد الله وأبا طالب أخوان لأب وأم فأمهما : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم .

فكان أبو طالب هو الذى يلى أمر محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ بعد جده فكان إليه ومعه ـ ضم أبو طالب محمدا ﷺ بعد موت جده عبد المطلب ، ودخل منزله على الرغم من أن عياله كانوا فى ضيقة وخلة ـ فقر ـ ، لا يكادون يشبعون لقلة ما عندهم ، وكان محمد بن عبد الله ﷺ إذا أكل مع أولاد عمه كفاهم ما يجدون من

الطعام وأشبعهم ، فلما رأت فاطمة بنت أسد امرأة أبى طالب ذلك حرصت أن يأكل محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع أولادها .

وكان محمد بن عبد الله ﷺ فى أكثر أيامه يصبح فيأتى زمزم فيشرب منها ، وربما عرض عليه الغذاء فيقول:

ـ لا أريده ، أنا شبعان .

*** اللهبى العائف :**

كان رجل من لهب ـ من أزد شنوءة وهى القبيلة التى تعرف بالعيافة والزجر ـ عائفًا فكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر إليهم ويعتاف لهم فيهم ، فأتى أبو طالب بابن أخيه عبد الله ـ ﷺ ـ وهو غلام مع من يأتيه ، فنظر اللهبى إلى محمد ﷺ ثم شغله عنه شئ ، فجعل اللبهي يقول :

ـ ويلكم ردوا على الغلام الذى رأيت آنفًا ، فوالله ليكونن له شأن.

فلما رأي أبو طالب لهفة اللهبى على محمد بن عبد الله ﷺ انطلق بابن أخيه ﷺ .

*** بحيرى الراهب :**

عزم أبو طالب بن عبد المطلب على الخروج في ركب تاجرا إلى الشام ، فلما تهيأ للرحيل ، وأجمع السير صب به ـ الصبابة : رقة الشوق ، صب به : لزمه ـ محمد ـ ﷺ ـ فرق له ، وقال أبو طالب :

ـ والله لأخرجن به معى ، ولا يفارقنى ، ولا أفارقه أبدا.

فخرج معه .

ولما نزل ركب قريش بصرى من أرض الشام ذلك العام نزلوا بالقرب من صومعة بحيري الراهب ـ كان إليه علم أهل النصرانية ـ وكانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ، ولا يعرض لهم ، حتى كان ذلك العام لما نزلوا قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا ـ رأى محمدا ﷺ في الركب حين أقبلت قريش وغمامة تظلـه مـن بـين

القوم ، ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريبا منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على محمد بن عبد الله ﷺ حتى استظل تحتها - فلما رأى ذلك بحيري نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ، ثم أرسل إلى تجار قريش وقال:

- إنى قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش ، فأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم .

فقال له رجل منهم :

- والله يا بحيرى إن لك لشأنا اليوم ، ما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنا نمر بك كثيرا، فما شأنك اليوم ؟

قال له بحيرى :

- صدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف ، وقد أحببت أن أكرمكم ، وأصنع لكم طعاما ، فتأكلوا منه كلكم .

فاجتمعوا إليه وتخلف محمد بن عبد الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه فى رحال القوم تحت الشجرة .

فلما نظر بحيرى فى القوم لم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده فقال:

- يا معشر قريش : لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى .

قالوا له :

- يا بحيرى ما تخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتيك إلا غلام ، وهو أحدث القوم سنا ، فتخلف فى رحالهم .

فقال بحيرى :

- لا تفعلوا ، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم .

فقال رجل من قريش مع القوم :

ـ واللات والعزي إن كان اللؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا .

ثم قام إليه فاحتضنه ، وأجلسه مع القوم .

وأراد بحيرى أن يتثبت من محمد ﷺ ، فجعل يلحظه لحظًا شديدًا وينظر إلى أشياء من جسده ، قد كان يجدها عنده من صفته ـ من وصفه ـ .

ولما فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا ، قام بحيرى إلى محمد بن عبد الله ﷺ وقال له :

ـ يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتنى عما أسألك عنه .

قال محمد بن عبد الله ﷺ :

ـ لا تسألنى باللات والعزى شيئا فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما .

لقد قال عالم الرهبان ذلك لأنه سمع رجال قريش يحلفون بهما .

فعاد بحيرى يقول :

ـ فبالله إلا أخبتنى عما أسألك عنه .

قال محمد بن عبد الله ﷺ :

ـ سلنى عما بدا لك.

فجعل عالم الرهبان يسأله عن أشياء من حاله .

من نومه وهيئته وأموره .

فجعل ابن عبد الله ﷺ يخبره ، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته ، ثم نظر إلى ظهره فرأي خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده (رواه ابن عساكر) .

فلما فرغ عالم الرهبان أقبل على أبى طالب فسأله :

ـ ما هذا الغلام منك ؟

قال أبو طالب :

- ابني .

قال بحيرى :

- ما هو بابنك ، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا .

قال أبو طالب :

- فإنه ابن أخى .

قال عالم الرهبان :

- فما فعل أبوه ؟

قال عبد مناف بن عبد المطلب :

- مات وأمه حبلى به .

قال بحيرى :

- صدقت .

ثم قال عالم الرهبان :

- أما ترى هذه الغمامة كيف تظله وتنتقل معه ؟ والله إنه لنبى كريم ، وإنى لأحسبنه للذى بشر به عيسى ، فإن زمانه قد قرب ، وما ينبغى لك أن تحتفظ به فارجع بابن أخيك إلى بلده - مكة - واحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلاده .

فرد أبو طالب محمدا ﷺ إلى مكة .

وقيل :

إن أبا طالب صحب محمد بن عبد الله ﷺ إلى الشام .

*** محمد بن عبد الله ﷺ وتجارة خديجة بنت خويلد .**

كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، وكانت قريش قوما تجارا، فكانت تضاربهم إياه بشىء تجعله لهم.

ولما جاوز محمد بن عبد الله ﷺ ـ العشرين ـ وكان على مشارف الخامسة والعشرين ـ قال له أبو طالب :

ـ يا ابن أخى إن خديجة بنت خويلد امرأة موسرة ذات تجارة عريضة وهى محتاجة إلى مثلك فى أمانتك وطهارتك ووفائك ، فلو كلمناها فيك فوكلتك ببعض أمرها وتجارتها؟

فقال ابن عبد الله ﷺ :

ـ افعل يا عم ما رأيت .

فسعى أبو طالب إلى خديجة بنت خويلد فكلمها فى توكيل ابن أخيه ﷺ ببعض تجارتها، فلما بلغها صدق حديثه وعظيم أمانته وكريم أخلاقه بعثت إليه فعرضت عليه ﷺ أن يخرج فى مال لها إلى الشام تاجرا وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار ورغبت فيه.

ووجهته إلى الشام ومعه غلامها ميسرة ، فلما فرغ محمد بن عبد الله ﷺ مما توجه له وقدم مكة ، أخبر ميسرة ، سيدته خديجة بنت خويلد بأمانة وطهارة محمد بن عبد الله ﷺ ويمن طائره ، وما يقول أهل الكتاب فيه ، والذى تعرف من البركة بمكانه معه فى كثرة الأرباح وسهولة الأمور ، وقال:

ـ كنت آكل معه حتى نشبع ويبقى أكثر الطعام كما هو .

ولما رأي ميسرة سيدة نساء قريش شاردة قال:

نزلنا في ظل شجرة قريبا من صومعة الراهب نسطورا فاطلع إلى وقال لى :

ـ من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة ؟

فقلت له :

ـ هذا رجل من قريش من أهل الحرم .

فقال نسطورا :

ـ ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى ـ ما نزل تحت هذه الشجرة هذه الساعة إلا نبى ـ .

*** خديجة بنت خويلد تريد الزواج من محمد بن عبد الله ﷺ :**

رغبت الطاهرة فى الزواج من محمد بن عبد الله ﷺ وكانت امرأة عاقلة حازمة مرغوبا فيها لشرفها ويسارها ولكنها فضلت ابن عبد الله ﷺ لما سمعته من غلامها ميسرة من عـلامات النبوة وأمانته وطهارته ووفائه وحسن خلقه .

ودخلت على خديجة بنت خويلد صديقتها نفيسة بنت منية فبعثها دسيسا ـ خفية ـ إلى محمد بن عبد الله ﷺ بعد أن رجع فى عيرها من الشام بشهرين فقالت نفيسة بنت منية :

ـ يا محمد ما يمنعك أن لا تتزوج ؟ هلا إلى زوج تحنو عليك وتؤنسك وتزيل وحشتك ؟ فيم عزوفك عن الدنيا ؟

قال محمد ﷺ :

ـ ما بيدى ما أتزوج به .

قالت نفيسة بنت منية :

ـ فإن كفيت ذلك ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاية ألا تجيب ؟

فتساءل محمد بن عبد الله ﷺ :

ـ فمن هى ؟

قالت نفيسة بنت منية :

ـ خديجة .

قال محمد ﷺ :

ـ وكيف لى بذلك ؟

قالت نفيسة بنت منية وهى تدق صدرها بكف يدها اليمنى :

ـ على .

فقال أمين قريش ﷺ :

ـ فأنا أفعل .

فانطلقت نفيسة بنت منية إلى سيدة نساء قريش وأخبرتها بما دار بينها وبين محمد ﷺ فقالت الطاهرة :

ـ فليأت الغداة الساعة كذا وكذا .

وجاء محمد بن عبد الله ﷺ فقالت خديجة بنت خويلد :

ـ يا ابن عم ، إنى قد رغبت فيك لقرابتك ، وسطتك ـ من الوسط ، والوسط من أوصاف المدح والتفضيل ، ولكن فى مقامين : فى ذكر النسب وفى ذكر الشهادة ـ فى قومك وأمانتك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك .

ثم عرضت عليه نفسها .

قال الكلبى :

ـ بعثت خديجة إلى محمد ﷺ أن اخطبنى إلى عمى عمرو بن أسد بن عبد العزى بن قصى وكان شيخا كبيرا ، فأمرت بشاة فذبحت ، واتخذت طعاما ، ودعت عمها عمرا، وبعثت إلى محمد بن عبد الله ﷺ فأتى ومعه عمه : أبو طالب بن عبد المطلب، وحمزة ، فأكلوا ثم قالت خديجة لمحمد ﷺ :

ـ قل لأبى طالب فليخطبنى .

فخطبها أبو طالب إلى عمرو بن أسد ، وقام أبو طالب فخطب خطبة النكاح ، وكان مما قاله فى الخطبة :

أما بعد :

فإن محمدا ممن لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا ، وإن كان في المال قل ، فإنما المال ظل زائل ، وعارية مسترجعة ، وله فى خديجة بنت

خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك .

*** صداق خديجة بنت خويلد :**

أصدق محمد بن عبد الله ﷺ خديجة بنت خويلد عشرين بكرة ـ أنثي الإبل ـ فكانت أول امرأة تزوجها أمين قريش ﷺ .

وقيل :

تزوجها محمد بن عبد الله ﷺ على اثنتى عشرة أوقية من الذهب ونشًا ـ النش : نصف أوقية ـ والأوقية : أربعون درهما .

وكانت خديجة في الأربعين من عمرها ، وأمين قريش ﷺ فى الخامسة والعشرين عندما تزوجها .

*** أتركا لى عقيلا :**

كان أبو طالب بن عبد المطلب كثير العيال ، وضيق الحال ، وأصاب قريشا قحط ـ احتبس المطر فأصاب الجدب قريشا ـ فقد امتنع المطر ومات الزرع وجف الضرع ـ إذا مات الزرع جف اللبن فى ضروع الإبل ـ ورأى محمد بن عبد الله ﷺ ما أصاب عمه أبا طالب فأراد أن يرد إليه صنيعه معه ، فذهب إلى عمه العباس بن عبد المطلب ، وكان ذا مال فقال له :

ـ يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة ، فانطلق بنا إليه لنخفف من عياله ، تأخذ واحدا ، وأنا واحدا .

فقال أبو الفضل :

ـ نعم.

فجاء محمد بن عبد الله ﷺ وعمه العباس بن عبد المطلب أبا طالب فقالا:

ـ إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه.

فقال أبو طالب :

ـ إذا تركتما لى عقيلا .

وقيل :

وطالبا فاصنعا ما شئتما .

فأخذ محمد بن عبد الله ﷺ عليا فضمه إليه ، وأخذ أبو الفضل جعفرا.

وظل على بن أبى طالب فى بيت خديجة بنت خويلد مع أبى القاسم ﷺ يطعمه ويقوم على أمره ـ فى كفالته كأحد أولاده ـ.

*** إنى أصلى لرب العالمين :**

ظل على بن أبى طالب فى بيت محمد بن عبد الله ﷺ ولم يسجد لصنم قط .

وذات ليلة دخل على بن أبى طالب على أبى القاسم ﷺ فوجده هو وخديجة يصليان سرا فتساءل ربيب رسول الله ﷺ :

ـ ما هذا ؟

قال النبى الخاتم ﷺ :

ـ إنى أصلى لرب العالمين .

فقال علي بن أبى طالب :

ـ ومن رب العالمين ؟

قال السراج المنير ﷺ :

ـ إنه إلـه واحد لا شريك له ، له الخلق ، وبيده الأمر ، يحيي ويميت ، وهو علي كل شيء قدير ، فأنا أدعوك إلى دين الله الذى اصطفاه لنفسه وبعث به رسله ، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، إلى عبادته ، وإلى الكفر باللات والعزى.

فقال ربيب رسول الله ﷺ :

ـ هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم فلست بقاض أمرا ـ لا أستطيع أن أسلم قبل أن أحدث أبى ـ حتى أحدث أبا طالب .

وكره خاتم النبيين ﷺ أن يفشى - يذيع - على بن أبى طالب عليه سره قبل أن يمكن الله عز وجل لنبيه ﷺ أمره فقال لربيبه :

- يا على إذا لم تسلم فاكتم - اخف - هذا .

فمكث على بن أبى طالب ليلته قلقا يُفكر ، إن ابن عمه لجدير بالرسالة فهو صادق أمين لم يعرفه أحد كما عرفه هو ، لقد تربى فى بيته وفى كنفه ، فهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويصل الرحم ويقرى - يكرم - الضيف ، ويعين على نوائب - مصائب - الدهر .

ونام على فى هذه الليلة وقد عزم على أمر .

ولما كان الغد لقى على بن أبى طالب أبا القاسم ﷺ وهو ابن عشر سنين وشهد شهادة الحق:

- أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله .

فكان على بن أبى طالب أول الصبيان إسلاما ،فقد أسلم ولم يبلغ الحلم - لم يبلغ الحلم على حكم الرجال أى لم يحتلم بعد - .

ومنذ ذلك اليوم لزم على بن أبى طالب أبا القاسم ﷺ يصلى معه ويصغى إليه.

وقيل :

رأى على بن أبى طالب النبى ﷺ تصلى معه خديجة بنت خويلد فقال:

- ما هذا يا محمد ؟

فقال رسول الله ﷺ :

يا على : هذا دين الله الذى اصطفاه واختاره ، وأنا أدعوك إلى الله وحده وأن تذر - تترك - اللات والعزى فإنهما لا ينفعان ولا يضران .

فقال على :

- ما سمعت بهذا الدين إلى اليوم ، وأنا أستأمر أبى فيه .

فكره أبو القاسم ﷺ أن يفشى ذلك قبل استعلان أمره ، فقال عليه الصلاة والسلام :

ـ يا على : إن فعلت ما قلت لك ، وإلا فاكتم ما رأيت.

فمضى على بن أبى طالب ليلته ، وغدا علي النبى ﷺ فقال له :

ـ أعد على ما قلت .

فأعاد الصادق المصدوق ﷺ . . فأسلم على بن أبى طالب ، ومكث يأتى رسول الله ﷺ فيصلى معه على خوف من أبى طالب ، فكان على وزيد بن حارثة يلزمان الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.

وذات يوم عثر أبو طالب على نور الظلمة ﷺ وابنه على وهما يصليان في شعب من شعاب مكة فتساءل :

ـ يا ابن أخى ما هذا الذى أراك تدين ؟

قال سيد الأولين والآخرين ﷺ :

ـ هذا دين الله ، ودين ملائكته ورسله ، ودين أبينا إبراهيم بعثنى الله به رسولا إلى العباد ، وأنت أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى ، وأحق من أجابنى إلى الله تعالى ، وأعاننى عليه

فقال أبو طالب :

ـ إنى لا أستطيع أن أفارق دين آبائى وما كانوا عليه ، ما الذى تقول من بأس .

ثم نظر عبد مناف نحو ابنه على وسأله :

ـ أى بنى ما هذا الدين الذى أنت عليه ؟

قال على بن أبى طالب :

ـ يا أبت آمنت برسول الله ﷺ وصدقت بما جاء به ، وصليت معه لله واتبعته .

فقال أبو طالب :

ـ أما إنه لم يدعك إلا إلي خير فالزمه.

وقيل:

ذات يوم فقد أبو طالب ابنه عليافقالت أمه فاطمة بنت أسد لزوجها أبى طالب:

ـ رأيته يلزم محمدًا ، وأنا أخاف أن يأتيك من قبل محمد فى أمر ابنك مالا تطيقه .

فقال أبو طالب :

ـ ما كان ابنى ليفتات على بأمر.

واتبع أبو طالب أثر ابن أخيه ﷺ وأثر ابنه على ، فوجدهما فى شعب من شعاب مكة ورسول الله ﷺ يصلي وعلى ينظر له .

فسأل أبو طالب ابن أخيه ﷺ :

ـ ما هذا الدين يا محمد ؟

قال المبعوث للناس كافة ﷺ :

ـ دين الله الذى بعثنى به .

ودعا أبا طالب إلى التوحيد وترك عبادة الأوثان ، فقال أبو طالب :

ـ أما دين آبائى ، فإن نفسى غير مشايعة على تركه، وما كنت لأترك ما كان عليه عبد المطلب ، ولكن انظر الذى بعثت به فأتمم عليه ، فوالله لا أسلمتك ما كنت حيا حتى تتم الذى تريد .

وقال لعلى :

ـ أما أنت يا بنى فما بك رغبة عن الدخول فيما دخل فيه ابن عمك.

فاشتد ظهر المبعوث رحمة للعالمين ﷺ ، وسر بقول أبي طالب .

ولما رجع أبو طالب إلى منزله قالت له فاطمة بنت أسد :

ـ أين ابنك ؟

فتساءل أبو طالب :

ـ وما تصنعين به ؟

قالت زوج أبى طالب :

ـ أخبرتنى مولاتى أنها رأته مع محمد وهما يصليان في شعب بأجياد ، أفترى ابنك صبأ ـ غير دينه ـ ؟

فقال أبو طالب :

ـ اسكتى ، ودعى عنك هذا ، فهو والله أحق من آزر ابن عمه ، ولولا أن نفسى لا تطاوعنى على ترك دين عبد المطلب لاتبعت محمدا ، فإنه الحليم الأمين الطاهر.

فسكنت فاطمة بنت أسد .

* الخبر يبلغ قريشا :

على الرغم من أن دعوة خاتم النبيين ﷺ كانت سرية وفردية ، إلا أنها لما بلغت أنباؤها قريشا لم تكترث بها ولم تعرها اهتماما وقال عمرو بن هشام :

ـ لا أحسب محمدا إلا واحدا من أولئك الذين تكلموا فى الألوهية وحقوقها كما فعل أمية بن أبى الصلت وقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وأشباههم .

وقال أبو سفيان بن حرب :

ـ لقد اتبع يتيم قريش فقراء لا رأى لهم.

فقال أمية بن خلف :

ـ هل عتيق بن أبى قحافة وعلى بن أبي طالب وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص ومصعب بن عمير وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد ، يا أبا حنظلة فقراء لا رأى لهم ؟

فقال النضر بن الحارث :

ـ إن أبا حنظلة يقصد : بلال بن رباح وصهيب الرومى وابن مسعود وعمار بن ياسر وخباب بن الأرت و وكل هؤلاء من العبيد .

فسكت سادات قريش ، إلا أنهم توجسوا خيفة من ذيوع خبر أبى القاسم ﷺ وامتداد أثره.

*** أول من أظهر الإسلام**

أولا من أظهر الإسلام سبعة :

رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وخباب بن الأرت ، وصهيب بن سنان الرومى ، وعمار بن ياسر ، وسمية بنت خباط أم عمار ، وبلال بن رباح.

فأما رسول الله ﷺ فمنعه عمه أبو طالب ، وأما أبو بكر فمنعه قومه، وأخذوا الآخرين فألبسوهم أدراع الحديد ، ثم صهروهم فى الشمس حتي بلغ منهم الجهد كل مبلغ من حر الحديد والشمس ، فلما كان العشي أتاهم أبو جهل فجعل يسبهم ويوبخهم.

*** الدعوة جهارًا :**

مرت ثلاث سنين والدعوة لم تزل سرية ، وخلال هذه الفترة كان الوحى قد تتابع، وكانت الآيات وقطع من السور التى تنزل فى آيات قصيرة ذات فواصل رائعة منيعة وإيقاعات هادئة خلابة تتناسب مع ذلك الجو الهامس الرقيق تشتمل على تحسين وتزكية النفوس وتقبيح تلويثها برغائب الدنيا وتصف الجنة والنار كأنها رأي العين ، وتسير بالمسلمين فى جو آخر غير الذى فيه المجتمع البشرى آنذاك .

ونزل قوله تعالى ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [سورة الشعراء الآية : ٢١٤].

فدعا نبى الرحمة ﷺ بنى هاشم فحضروا ومعهم نفر من بنى عبدا مطلب بن عبد مناف ، فكانوا خمسة وأربعين رجلا ، فبادره عمة أبو لهب فقال :

ـ وهؤلاء هم عمومتك وبنو عمومتك فتكلم ودع الصبأة ـ صبأ : غير دينه ـ وأعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة ، وأنا أحق من أخذك فحسبك بنو أبيك، وإن أقمت

على ما أنت عليه فهم أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش وتمدهم العرب ، فما رأيت أحدا جاء على بنى أبيه بشر مما جئت به .

فسكت صاحب الخلق العظيم ﷺ ولم يتكلم فى ذلك المجلس .

ثم دعاهم النبى الخاتم ﷺ ثانية وقال :

ـ الحمد لله أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

قال الصادق المصدوق ﷺ :

ـ إن الرائد لا يكذب أهله ، والله الذى لا إله إلا هو إنى رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة ، والله لتموتن ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون وإنها الجنة أبدا أو النار أبدا.

فقال أبو طالب :

ما أحب إلينا معاونتك وأقبلنا لنصيحتك وأشد تصديقا لحديثك وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وإنما أنا أحدهم غير أنى أسرعهم إلي ما تحب ، فامض لما أمرت به فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك غير أن نفسى لا تطاوعنى على فراق دين عبد المطلب.

فلما رأى أبو لهب أن أبا طالب ما زال على دين قومه ولم يتبع محمدا ﷺ قال:

ـ هذه والله السوأة خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم.

فقال أبو طالب :

ـ والله لنمنعه ما دام بيننا .

ولما رأى المبعوث للناس كافة ﷺ تعهد عمه أبو طالب شيخ بنى هاشم بحمايته ـ رغم بقائه على دين قومه ـ صعد جبل الصفا ثم نادى:

ـ يا صبحاه.

فقالوا :

ـ من هذا الذى يهتف ؟

قالوا :

ـ محمد

فاجتمعوا إليه ، فقال عليه الصلاة والسلام :

ـ يا بنى فلان ، يا بنى فلان ، يابنى عبد مناف ، يا بنى عبد المطلب.

فاجتمعوا إليه فقال ﷺ :

ـ أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقى؟

قالوا :

ـ ما جربنا عليك كذبا .

قال الصادق المصدوق ﷺ :

ـ فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد

يا بنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار

يا بنى مرة بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار

يا بنى عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار

يا بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار

يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار

يا بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار

يا فاطمة ـ بنت محمد ﷺ ـ أنقذى نفسك من النار ، فإنى لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها .

فقال عبد العزى بن عبد المطلب ـ أبو لهب ـ :

ـ تبا لك ، أما جمعتنا إلا لهذا ؟

وتفرق الناس .

وأنزل السميع البصير ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝ ﴾ [سورة المسد الآية : ١ ـ ٥] .

وذاعت سورة المسد فى أم القرى ، ومشى بعض الناس إلى أبى لهب بن عبد المطلب وزوجته أم جميل بنت حرب فاشتعلت نار الحقد فى صدرها على الهادى البشير ﷺ ، وراحت أم جميل توغر صدر زوجها حقدا وبغضا لمحمد ﷺ ، وكانت رقية بنت رسول الله ﷺ زوجة لعتبة بن أبى لهب ولكن لم يدخل بها فقال له أبوه :

ـ رأسى ورأسك حرام إن لم تفارق ابنة محمد .

ففارقها عتبة بن أبى لهب .

وكان عتيبة بن أبي لهب قد تزوج أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ولم يدخل بها فقال له أبوه :

ـ رأسي ورأسك حرام إن لم تفارق ابنته.

فقال عتيبة فى غضب :

ـ لآتين محمداً فلأوذينه فى ربه .

وانطلق عتيبة بن أبي لهب إلى إمام الخير ﷺ وكان عند عمه أبى طالب فقال لصاحب الخلق العظيم ﷺ :

ـ يا محمد أنا كافر بربك .

ثم بصق فى وجه نور الظلمة ﷺ ـ ولكن البزق لم يصبه ﷺ ـ ورد عليه ابنته فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ اللهم سلط ـ ابعث ـ عليه كلبا من كلابك ـ أسدا من أسدك ـ

فوجم أبو طالب لدعوة رسول الله ﷺ ثم قال :

ـ ما كان أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة .

ورجع عتيبة بن أبي لهب إلي أمه وأبيه فأخبرهما بذلك .

وخرج عتيبة مع أبيه فى عير لقريش إلى الشام ، فلما نزل الركب منزلا ، أشرف عليهم راهب من دير وقال لهم :

ـ يا معشر قريش إن هذه الأرض مسبعة تملأها السباع

فقال أبو لهب لأصحابه :

ـ إنكم عرفتم نسبي وحقى

فقالوا :

ـ أجل يا أبا لهب

فقال أبو لهب :

أعينونى يا معشر قريش هذه الليلة فإنى أخاف على ابنى عتيبة دعوة محمد ، فأجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة ثم افرشوا لابنى عليه ثم افرشوا حوله.

أحاط الركب بعتيبة بن أبي لهب احاطة السوار من المعصم ، وجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتيبة كما يحيط الطوق بالعنق.

وجاء أسد فتشمم وجوه القوم ، ثم ضغم عتيبة بن أبى لهب ضغمة .. فكانت إياها

قال عتيبة وهو يلفظ آخر أنفاسه:

ـ ألم أقل لكم إن محمدا أصدق الناس لهجة ؟

ومات عتيبة .

فقال أبو لهب فى صوت ينز حزنا وحسرة :

ـ قد عرفت والله ما كان ليفلت من دعوة محمد .

وازداد حقد أم جميل بنت حرب على خاتم النبيين ﷺ لما بلغها موت ابنها عتيبة

ومرت ثلاث سنين والدعوة كانت سرية .

فلما بادى المبعوث رحمة للعالمين ﷺ قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله عز وجل ، لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه ، حتى ذكر آلهتهم : اللات والعزى ومناة وهبل و عابها ، فلما فعل ذلك أعلموه وناكروه ، وأجمعوا خلافه وعادوته وقالوا :

ـ لقد سفه محمد أحلامنا ـ جمع حلم وهو العقل ـ وعاب آلهتنا قال : لا تضر ولا تنفع ـ وشتم آباءنا ، وفرق جماعتنا و ..

وحدب ـ أصل الحدب : انحناء الظهر ، ثم استعير فيمن عطف على غيره ورق له ـ عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه.

ومضى إمام الخير ﷺ على أمر الله عز وجل مظهرا لأمره لا يرده عنه شيء .

*** يتيم أبى طالب :**

لما نزل قوله تعالى : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [سورة يونس الآية : ٢] .

قال مشركو مكة :

ـ إن الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا .

وقال سادات قريش :

ما وجد الله من يرسله إلا يتيم أبى طالب ؟.

*** إسلام جعفر بن أبى طالب**

ذات يوم كان أبو طالب يسير مع ابنه جعفر فى شعاب مكة فرأى أبا القاسم ﷺ وعليا يصليان وعلى عن يمين ابن عمه ﷺ ، فقال أبو طالب لابنه جعفر .

ـ صل جناح ابن عمك

فصلى جعفر عن يسار سيد الأولين والآخرين ﷺ .

فكان إسلام جعفر بن أبي طالب بعد واحد وثلاثين إنسانا وكان هو الثانى والثلاثين (رواه ابن إسحاق) .

*** مشى رجال من قريش إلى أبى طالب**

انفجرت أم القرى بمشاعر الغضب وماجت بالغرابة والاستنكار حين سمعت حبيب الرحمن ﷺ يجهر بتضليل المشركين وسفه عبدة الأصنام والأوثان ، وكأن صاعقة تقصف السحاب فرعدت وبرقت وزلزلزت الجو الهادئ الساكن ، فقد علم سادات قريش أن معنى الإيمان بالواحد الأحد ينفى الألوهية عن اللات والعزى ومناة وهبل و . . عما سوي الله عز وجل ، بحيث لا يبقى لهم خيار فى أنفسهم وأموالهم فضلا عن غيرهم وزوال سيادتهم وسلطانهم وكبريائهم على العرب .

فكر أشراف قريش ، ماذا يفعلون أمام رجل صادق أمين يدعو لمكارم الأخلاق ، أنه ليس له مثيل ولا نظير خلال فترة طويلة من تاريخ الأباء والأجداد والأقوام؟.

أخيرًا لم يجدوا سبيلا إلا أن يأتوا الرجل الذى كفله ورباه وحدب عليه . . شيخ بنى هاشم ، لماذا لا يأتون عمه أبا طالب الذى تعهد بحمايته ؟ .

فمشوا إليه وقال سادات قريش :

ـ يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا ـ عقولنا ـ وضلل آباءنا ، فإما تكفه عنا وإما تخلي بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ـ على ديننا ـ فنكفيكه .

فقال لهم أبو طالب قولا رقيقًا وردهم ردا جميلا فانصرف عمرو بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، والنضر بن الحارث ، وعقبة بن أبى معيط ، وأبو سفيان بن حرب ، وأبو البخترى و . . و . .

ومضى إمام الخير ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه .

*** السراج المنير ﷺ يعرض نفسه على القبائل**

أقبلت القبائل إلى الحرم لتؤدى مناسك الحج ، ووقف أبو القاسم ﷺ فى سوق المجاز فقال :

ـ يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا .

وأخذ الهادي البشير ﷺ يتلو عليهم آيات بينات من الذكر الحكيم فأقبل عمرو بن هشام ـ أبو جهل ـ يقول :

ـ إنه صابئ كذاب ، يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى

فقال خاتم النبيين ﷺ :

ـ ما أنا إلا بشير ونذير .

فقال عقبة بن أبى معيط :

ـ إنه مجنون .

فقال الصادق المصدوق ﷺ :

ـ ﴿ **إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ** ﴾ [سورة الأحقاف الآية : ١٠].

فقال النضر بن الحارث :

ـ بل شاعر نتربص به ريب المنون .

فقال أمير الأنبياء ﷺ :

ـ أنا رسول الله بعثنى إلى العباد أدعوهم إلي أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا وأنزل على الكتاب .

وارتفع صوت نور الظلمة ﷺ ببعض آيات الذكر الحكيم ، فارتفع صفير وتصفيق أبى جهل ، عقبة بن أبى معيط ، والنضر بن الحارث وأمية بن خلف وعدى بن الحمراء حتى غطت على صوت أبي القاسم ﷺ ثم قالوا :

ـ هذا سحر مبين .

وقال النضر بن الحارث :

ـ إن هذا إلا أساطير الأولين.

وقال أبو جهل بن هشام :

ـ افتراء .

فقال المبعوث رحمة للعالمين ﷺ :

ـ ﴿ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٨ ﴾ [سورة الأحقاف الآية : ٨] .

وحاول أبو بكر وعلى والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعثمان بن عفان أن يوضحوا للناس حقيقة الدين الجديد ولكن سادات قريش قالوا :

ـ لو كان خيرا ما سبقونا إليه ، إن هذا إلا إفك قديم .

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٠٩ ﴾ [سورة الشعراء الآية : ١٠٩] .

فقال الحارث بن قيس :

ـ ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم .

فتلقفها الأسود بن عبد يغوث وقال :

ـ انه يسب آلهتنا وآلهتكم ويسفه أحلامنا وأحلامكم .

فقال الهادي البشير ﷺ :

ـ إلهكم إلـه واحد لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه .

فتساءل أشراف قريش :

ـ واللات والعزى ومناة وهبل ؟

قال الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ :

ـ ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ [سورة النجم الآية : ٢٣] .

أندعون من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ؟

فجاء أبو لهب من ورائه وقال :

ـ لا تطيعوه فإنه كاذب وساحر .

فقال ربيعة بن عباد الديلى :

ـ من هذا الرجل الوضئ الأحول ذو الغديرتين ؟

قال رجل من قريش :

ـ انه أبو عتبة عمه .

فقال ربيعة بن عباد وهو يلوى ظهره :

ـ أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك .

فوقف إمام الزاهدين ﷺ على منازل القبائل من العرب ويقول :

ـ يا بنى فلان إنى رسول الله إليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تخلعوا ما تبعدون من دونه من الأنداد وأن تؤمنوا بى وتصدقوا وتمنعونى حتي أبين عن الله ما بعثنى به .

ولكن الناس أعرضوا عنه .

فقال حبيب الرحمن ﷺ :

ـ اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا .

ولم يمر أحد إلا حذره سادات قريش .

فتفرق الناس عن أبى القاسم ﷺ .. بعد أن انتشر ذكر النبى الخاتم ﷺ فى بلاد العرب كلها .

*** قريش تتصدى لدعوة المبعوث للناس كافة ﷺ :**

مضى إمام الخير ﷺ فى دعوته يظهر دين الله ويدعو إليه ، ثم شرى ـ اشتد ـ الأمر بينه وبين أشراف قريش حتى تباعد الرجال وتضاغنوا ـ وتعادوا ـ وأكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ بينها ، فتذامروا فيه وحض بعضهم بعضا عليه ، فعدت قريش على من أسلم واتبع نور الظلمة ﷺ من أصحابه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذى يصبه ، ومنهم من يصلُب لهم ويعصمه الله منهم.

وكأن أبو جهل بن هشام إذا لقى الرجل ذا شرف من أتباع محمد ﷺ قال له :

ـ تركت دين آبائك وهو خير منك ، لنسفهن حلمك ولنفيلن ـ نخطئن ـ رأيك ولنضعن شرفك .

فإذا لم يلتفت الرجل لقول أبى جهل قال :

ـ والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك.

*** الهجرة الأولي إلى الحبشة :**

لما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية لمكانه من الله عز وجل ومن عمه أبى طالب وأنه لا يقدر على أن يمنع أتباعه مما هم فيه من البلاء قال لهم :

ـ لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق فقال عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود ومصعب بن عمير :

ـ متى نعود يا رسول الله ؟

قال الذى لا ينطلق عن الهوي ﷺ :

ـ حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه .

فخرج عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ فى شهر رجب إلى الحبشة ، ثم أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو والزبير بن

العوام ومصعب بن عمير وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومى وامرأته هند بنت أبى أمية وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبى حثمة ، عبد الله بن مسعود، وجعل النبى الخاتم ﷺ عثمان بن مظعون عليهم أميرا ، فكانت أول هجرة في الإسلام.

وأبطأ على النبى ﷺ خبر عثمان بن عفان وابنته رقية ، فقدمت امرأة من قريش وقالت:

ـ يا محمد رأيت ختنك ـ صهرك ـ ومعه امرأته .

فتساءل الصادق المصدوق ﷺ :

ـ على أى حال رأيتهما ؟

قالت المرأة :

ـ رأيته قد حمل امرأته على حمار من هذه الدبابة ـ الضعيفة التى تدب فى المشى ـ وهو يسوقها .

فقال نبى الرحمة ﷺ :

ـ صحبهما الله ، إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام (رواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن أنس) .

*** رجوع وفد قريش إلى أبى طالب مرة ثانية :**

عاد أشراف قريش إلى أبى طالب مرة أخرى فقالوا :

ـ يا أبا طالب : إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا حتي تكفه عنا أو ننازله وإياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين .

ثم انصرفوا عنه .

فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يطب نفسا بإسلام ابن أخيه ﷺ لهم ولا خذلانه .

ولما قال سادات قريش هذه المقالة لأبى طالب بعث إلى محمد بن عبد الله ﷺ

وقال له :

ـ يا ابن أخى ان قومك قد جاءونى وقالوا لى كذا وكذا . فابق على وعلى نفسك ولا تحملنى من الأمر مالا أطيق .

فظن نبى الرحمة ﷺ أنه بدا لعمه بداء ـ أى ظهر له رأى ، فسمى الرأى بداء ، لأنه شيء يبدو بعد ما خفى ـ ، وأنه خاذله ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه .

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ـ خص الشمس باليمين لأنها الآية المبصرة ، وخص القمر بالشمال لأنها الآية المعجزة ـ على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته .

ثم استعبر نور الظلمة ﷺ ، فبكى ثم قام .

فلما ولى أبو القاسم ﷺ ناداه أبو طالب وقال :

ـ أقبل يا ابن أخى .

فأقبل كاشف الغمة ﷺ ، فقال أبو طالب :

ـ اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا.

*** أبو سلمة بن عبد الأسد فى جوار أبى طالب :**

لما علم مهاجرو الحبشة أن إخوانهم المسلمين أصبحوا يصلون ويقرأون القرآن فى المسجد مطمئنين منذ إسلام عمر بن الخطاب رجعوا إلى أم القرى وقالوا:

ـ عشائرنا أحب إلينا من هؤلاء الغرباء الذين نعيش بينهم.

وسمعت قريش بعودة المهاجرين فنصبوا شباكهم وأنزلوا بهم العذاب ، وظفر منهم القليل بالجوار فأصبح فى حمى منيع لا يهدر له دم ولا يضطهد .

وأراد أبو جهل بن هشام أن يظفر بأبى سلمة ليعذبه ويفتنه عن دينه ، ولكن أبا

سلمة انطلق إلى خاله أبى طالب ليكون فى جواره .

وجاء أبو جهل على رأس قوم من بنى مخزوم إلى أبى طالب وقالوا :

- لقد منعت ابن أخيك - يعنون محمدا ﷺ - فما لك وصاحبنا تمنعه منا ؟

قال أبو طالب بن عبد المطلب :

- إنه استجارنى وهو ابن أختى - برة بنت عبد المطلب - وإن أنا لم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أخى .

وكان أبو لهب بن عبد المطلب حاضرا فقال مغضبا :

- يا معشر قريش والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون تتواثبون عليه فى جواره من بين قومه ؟ والله لتنتهن عنه أو لنقومن معه فى كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد.

فخشى أبو جهل أن ينسلخ أبو لهب عنهم أو تأخذه الحمية فينضم إلى ابن أخيه ﷺ فتشتد دعوته وتقوى ، وخاصة أن عبد العزى بن عبد المطلب كان للمشركين وليا وناصرا على خاتم النبيين ﷺ فقال أبو جهل بن هشام :

- بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة .

ولما انصرف أبو جهل ورجال بنى مخزوم ، نظر أبو طالب إلى أخيه أبى لهب وطمع فيه حين سمع ما قال ، ورجا أن يقوم معه فى شأن السراج المنير ﷺ ، فقال أبو طالب محرضا أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله ﷺ :

وإن امرءا أبو عتبة عمه ... فى روضة ما إن يُسلمُ المظالما

أقول له وأين منه نصيحتى ... أبا معتب ثبت سوادك قائما

ولا تقبلن الدهر ما عشت خطة ... تسب بها ما هبطت المواسما

وول سبيل العجز غيرك منهم ... فإنك لم تخلق على العجز لازما

وحارب فإن الحرب نصف وما ترى ... أخا الحرب يعطي الخسف حتي يسالما

وكيف لم يجنوا عليك عظيمة ... ولم يخذلوك غانما أو مغارما

جزي الله عنا عبد شمس ونوفلا وتيما ومخزوما عقوقـا ومأثمـا
بتفريقهم مـن بعد وُدّ وألـفـة جماعتنا كيما ينالـوا المحارمـا
كذبتم وبيت الله نُبْزَي محمـدا ولما تروا يوما لدى الشعب قائما

سوادك : شخصك .

النصف : الانصاف .

نبزى : نسلب .

*** قريش تعرض عمارة بن الوليد على أبى طالب :**

لما عرف سادات قريش أن أبا طالب قد أبى - رفض - خذلان ابن أخيه ﷺ وإسلامه ، وإجماعه لفراقهم فى ذلك وعداوتهم ، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة وقالوا له :

- يا أبا طالب : هذا عمارة بن الوليد أنهد - أشد - فتى في قريش ، وأجمله، فخذه ، فلك عقله ونصره ، واتخذه ولدا فهو لك ، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفه أحلامهم فنقتله ، فإنما هو رجل برجل .

فقال عبد مناف بن عبد المطلب :

- والله لبئس ما تسومونني ، أتعطونى ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابنى تقتلونه ؟ هذا والله مالا يكون أبدا .

فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى:

- والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك ، وجهدوا علي التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا

فقال أبو طالب للمطعم بن عدى :

- والله ما أنصفـونى ، ولكنك قد أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم على فاصنع ما

بدا لك.

فحقب الأمر ـ اشتد ـ ، وحميت العداوة وتنابذ القوم .

*** هذا نجم رمى به :**

وذات ليلة كان خاتم الأنبياء ﷺ جالسا مع عمه أبى طالب فانحط نجم فامتلأت الأرض نورا ففزع أبو طالب وتساءل :

ـ أى شىء هذا ؟

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ هذا نجم رمى به ، وهو آية من آيات الله .

فعجب أبو طالب بن عبد المطلب .

فنزل قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣ ﴾ [سورة الطارق الآية : ١ ـ ٣] .

*** شعر أبى طالب فى المطعم بن عدى ومن خذله :**

قال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدى ، ويعم من خذله من بنى عبد مناف، ومن عاداه من قبائل قريش ، وما تباعد من أمرهم :

ألا قل لعمرو والوليد ومطعم ألا ليت حظى من حياطتكم بكر

من الخور حبحاب كثير رغاؤه يرش على الساقين من بوله قطر

تخلف خلف الورد ليس بلا حق إذا ما علا لفيفا عقيل له وبر

أرى أخوينا من أبينا وأمنا إذا سئلا قالا إلى غيرنا الأمر

بلى لهما أمر ولكن تجرجما كما جرجمت من رأس ذى علق صخر

أخص خصوصا عبد شمس ونوفلا هما نبذانا مثل ما ينبذ الجمر

هما أغمزا للقوم فى أخويهما فقد أصبحا منهم أكفهما صفر

هما أشركا فى المجد من لا أبا له — من الناس إلا أن يرس له ذكـر

وتيم ومخـزوم وزهـرة منهـم — وكانوا لنا مولى إذا بغى النصـر

فوالله لا تنفـك منـا عـداوة — ولا منهم ما كان من نسلنا شفـر

فقد سفهت أحلامهم وعقولهم — وكانوا كجفر بئس ما صنعت جفر

بكر : يريد أن يقول : إن بكرا من الإبل أنفع لى منكم ، فليته لى بدلا من حياطتكم .

الرغاء : صوت الإبل .

الخور : الضعف .

الحبحاب : الصغير .

الوبر : دويبة صغيرة تشبه الهرة ، شبهه بها لصغره .

جرجم : انحدر .

ذو علق : جبل فى ديار بنى أسد .

أغمز : استضعف .

الصفر : الخالى .

يرس : يذكر .

شفر : أحد .

*** قريش : تحاول إغراء إمام الزاهدين ﷺ .**

لما رأت قريش أن سياسة تعذيب العبيد والضعفاء الذين دخلوا في الإسلام لم تؤت ثمارها لجأت إلى سياسة الترهيب فهددوا خاتم النبيين ﷺ بالقتل وضغطوا على عمه أبى طالب للتدخل من أجل أن يوقف نور الظلمة ﷺ دعوته أو يقدمه إليهم فيقتلوه، ولكن أبا طالب تصدى لهم . . . فلجأت قريش إلى أسلوب الترغيب .

قال أبو جهل بن هشام لسادات قريش :

ـ قد التبس علينا أمر محمد ، فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ، ثم أتانا ببيان من أمره

فقال عتبة بن ربيعة :

ـ والله لقد سمعت الكهانة والشعر والسحر ، وعلمت من ذلك علما لا يخفي على أن كان كذلك .

فقالوا له :

ـ إيته فحدثه .

فأتى أبو الوليد الصادق المصدوق ﷺ فقال له :

ـ يا محمد أنت خير أم قصى بن كلاب ؟ أنت خير أم هاشم ؟ أنت خير أم عبد المطلب ؟ أنت خير أم عبد الله ؟ فبم تشتم آلهتنا ، وتضلل آباءنا ، وتسفه أحلامنا ، وتذم ديننا ؟ فإن كنت تريد الرياسة عقدنا إليك ألويتنا فكنت رئيسنا ما بقيت ، وإن كنت تريد الباءة زوجناك عشر نساء من أى بنات قريش شئت ، وإن كنت تريد المال جمعنا لك ما تستغنى به أنت وعقبك من بعدك ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا من الجن قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا فى طلب ما تتداوى به أو نغلب فيك .

وصاحب الخلق العظيم ﷺ ساكت ، فلما فرغ عتبة بن ربيعة ، قال أبو القاسم ﷺ :

ـ قد فرغت يا أبا الوليد ؟

قال عتبة بن ربيعة :

ـ نعم .

قال السراج المنير ﷺ :

ـ فاسمع منى .

قال أبو الوليد :

ـ أفعل .

قال حبيب الرحمن ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ۝٥ ﴾ [سورة فصلت الآية ١ ـ ٥] .

ثم مضي كاشف الغمة ﷺ فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها ، وألقي يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ، فلما قرأ إمام الخير ﷺ قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣ ﴾ [سورة فصلت الآية : ١٣] ، وثب عتبة بن ربيعة ووضع يده على فم النبى الخاتم ﷺ وناشده الله والرحم ليسكت .

ثم انتهى أبو القاسم ﷺ إلى السجدة منها ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝٣٧ ﴾ [سورة فصلت الآية : ٣٧] .

فسجد الهادى البشير ﷺ ثم قال لعتبة بن ربيعة :

ـ قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذلك .

فقام عتبة بن ربيعة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض :

ـ نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به .

فلما جلس إليهم قالوا :

ـ ما وراءك يا أبا الوليد ؟

قال عتبة بن ربيعة :

- ورائي أنى قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعونى واجعلوها بي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به .

قالوا :

- سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه .

قال عتبة بن ربيعة :

- هذا رأى فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم .

وقيل:

رجع عتبة بن ربيعة إلى أهله فجاءه أبو جهل بن هشام فقال :

- أصبوت إلى محمد ؟ أم أعجبك طعامه ؟

فغضب عتبة بن ربيعة وأقسم ألا يكلم محمدا ﷺ أبدا ، ثم قال:

- والله لقد تعلمون أنى من أكثر قريش مالا ، ولكنى لما قصصت عليه القصة أجابنى بشىء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر .

ثم تلا عليهم ما سمع منه إلى قوله ﴿ مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة فصلت الآية : ١٣] ، وأمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف ، وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب ، فوالله لقد خفت أن ينزل بكم العذاب - يعنى الصاعقة (رواه القرطبي فى تفسيره ، أبو بكر الأنبارى فى كتاب الرد له عن محمد بن كعب القرظى).

*** يا أبا طالب : إنه محمد وأصحابه عن سب آلهتا .**

ذات ضحى جاء سادات قريش أبا طالب بن عبد المطلب وقالوا له :

ـ يا أبا طالب : إما أن تنهى محمدا وأصحابه عن سب آلهتنا. وإما أن نسب إلـهه ونهجوه .

فلما جاء خاتم النبيين ﷺ قال له أبو طالب :

ـ يا محمد : إن قومك جاءوا وقالوا : كذا وكذا .

فنزل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [سورة الأنعام الآية : ١٠٨] .

*** الهجرة الثانية إلى الحبشة :**

عرفت قريش أن أبا طالب قد أبى خذلان سيد الأولين والآخرين ﷺ وإجماعه لفراقهم فى ذلك وعداوتهم ، فاشتد أمر قريش وازدادت عداوتهم لرسول الله ﷺ ومن تبعه ، واستفحلت العداوة بين قريش وأصحاب رسول الله ﷺ ، فذهب أتباع إمام الخير ﷺ إليه يستأذنونه فى الهجرة إلى الحبشة ، فأذن لهم ، فقال عثمان بن عفان والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير :

ـ يا رسول الله فهجرتنا الأولى وهذه الآخرة إلي الحبشة ولست معنا .

فقال النذير البشير ﷺ :

ـ أنتم مهاجرون إلى الله وإلى ، لكم هاتان الهجرتان جميعا.

فقال مصعب بن عمير :

ـ فحسبنا يا رسول الله .

وهاجر إلى الحبشة من بنى هاشم : جعفر بن أبى طالب معه امرأته أسماء بنت عميس و . . . و . . .

وكان عدد مهاجرى الحبشة ـ سوى أبنائهم الذين خرجوا معهم صغارا أو ولدوا

بالحبشة ـ ثلاثة وثمانين رجلا ، فيهم أبناء وأخوة ألد أعداء رسول الله ﷺ كأبى سفيان بن حرب ، والنضر بن الحارث ، وعتبة بن ربيعة ، وسهيل بن عمرو ، والعاص بن وائل و . . . و . . .

ووجد مهاجرو الحبشة الأمن والأمان والاستقرار وعبدوا الله عز وجل وأصابوا دار قرار فحمدوا جوار النجاشى ملك الحبشة ، وكانت أخبار إمام الخير ﷺ وأخبار مكة يعرفها مهاجرو الحبشة من الذين جاءوا تجارا إلى اليمن فيلتقون بهم .

ولما رأى عبد الله بن الحارث أن مهاجرى الحبشة آمنوا بأرض الحبشة وعبدوا الله وحده لا يخافون على ذلك أحدا ، وقد أحسن النجاشى جوارهم فقال عبد الله بن الحارث :

يا راكبا بلغـــن عنـــى مغلغلـــة	من كان يرجو بلاغ الله والدين
كل امرئ من عباد الله مضطهد	ببطن مكة مقهـــور ومفتـــون
إنا وجدنا بـــلاد الله واسعـــة	تنجى من الذل والمخزاة والهون
فلا تقيموا على ذل الحياة وخـز	ى فى الممات وعيب غير مأمون
إنا تبعنـا رسول الله واطرحـوا	قول النبى وعالوا فى الموازيـــن
فاجعل عذابك فى القوم الذين بغوا	وعائذ بك أن يغلوا فيطغونـــى

المغلغلة : الرسالة .

عالوا : خانوا .

وقال عبد الله بن الحارث أيضا يذكر نفى قريش إياهم من بلادهم ، ويعاتب بعض قومه فى ذلك :

أبت كبدى لا أكذبنـك قتالهـــم	علـى وتأباه علـى أناملـــى

وكيف قتالي معشرا أدبوكم **على الحق أن لا تأشبوه بباطل**

نفتهم عباد الجن من حر أرضهم فأضحوا على أمر شديد البلابل

فإن تك كانت في عدى أمانة عدى بن سعد عن تقى أو تواصل

فقد كنت أرجو أن ذلك فيكم بحمد الذى لا يطبى بالجعائل

وبدلت شبلا شبل كل خبيثة بذى فجر مأوى الضعاف الأرامل

تأشبوه : تخلطوه .

البلابل : وساوس الأحزان .

لا يطبى بالجعائل : لا يستمال بالرشوة .

الفجر : الغطاء .

وقال عبد الله بن الحارث أيضا :

وتلك قريش تجحد الله حقه كما جحدت عاد ومدين والحجر

فإن أنا لم أبرق فلا يسعننى من الأرض بر ذوو وفضاء ولا بحر

بأرض بها عبد الإله محمد أبين ما فى النفس إذ بلغ النقر

أبرق : سمى عبد الله بن الحارث المبرق .

النقر : البحث .

*** كنا نسميه الصادق الأمين :**

ذات ليلة طاف أبو جهل بن هشام بالبيت ومعه الوليد بن المغيرة ، فتحدثا فى شأن خاتم النبيين ﷺ فقال أبو جهل :

ـ والله إنى لأعلم إنه لصادق .

قال الوليد بن المغيرة :

ـ مه ، وما دلّك على ذلك ؟

قال أبو جهل :

ـ يا أبا عبد شمس : كنا نسميه فى صباه الصادق الأمين ، فلما تم عقله وكمل رشده نسميه الكذاب الخائن ؟ والله إنى لأعلم إنه الصادق .

فتساءل الوليد بن المغيرة :

ـ فما يمنعك أن تصدقه وتؤمن به ؟

قال أبو جهل بن هشام :

ـ نتحدث عني بنات قريش أنى قد اتبعت يتيم أبى طالب من أجل كسرة ـ كسرة خبز ـ ، واللات والعزى لن أتبعك أبدا .

فنزل قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ﴾ [سورة الجاثية الآية : ٢٣] .

*** من يعيننى على أبى الحكم بن هشام ؟**

بينما كان سادات قريش جلوسا في الحجر أقبل رجل ووقف علي المجلس وقال :

ـ يا معشر قريش : من يعيننى على أبى الحكم بن هشام ؟ فإننى رجل غريب وابن سبيل وقد غلبنى على حقى .

قالوا:

ـ وماذا فعل أبو الحكم بك ؟

قال الأراشى :

ـ ابتاع مني جمالا فماطلنى بأثمانها .

وتبادل أشراف قريش النظرات ، ثم نظروا نحو المبعوث للناس كافة ﷺ . ثم تبسموا فقال عقبة بن أبي معيط ، وأبو سفيان بن حرب ، والنضر بن الحارث:

ـ ترى هذا الرجل . . اذهب إليه فهو مؤديك عليه .

فجاء الأراشى إلى سيد الأولين والآخرين ﷺ وقال له :

ـ إن أبا الحكم قد غلبنى على حقى، وأنا رجل غريب وابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يأخذ لى حقى فأشاروا إليك ، فخذ حقى منه يرحمك الله.

فقام أبو القاسم ﷺ .

فلما رأى سادات قريش خاتم النبيين ﷺ قد سار مع الأراشى ، قالوا لرجل ممن كان يجلس معهم :

ـ اتبعه وانظر ما يصنع .

فذهب الرجل . . . ثم عاد فقال :

رأيت عجبا من العجب، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه حتى قال أبو الحكم:

ـ من هذا ؟

قال :

ـ محمد فاخرج .

فخرج إليه أبو الحكم وما فى وجهه قطرة دم ، وقد امتقع لونه.

فقال محمد :

ـ اعط الرجل حقه .

فقال أبو الحكم :

ـ لا تبرح حتى أعطيه حقه .

ودخل فخرج إليه بالذى للاراشى.

ثم انصرف محمد ، وقال أبو الحكم للاراشى :

ـ الحق لشأنك.

ونظر أشراف قريش بعضهم إلى بعض غير مصدقين ، ولكن الأراشى أقبل ووقف على مجلسهم وقال:

ـ جزاه ـ يعنى رسول الله ﷺ ـ الله خيرًا فقد أخذت الذى لى .

ثم أقبل أبو جهل بن هشام فقال أشراف قريش :

ـ ويلك . . مالك فوالله ما رأينا مثل ما صنعت ؟

قال أبو جهل بن هشام:

ـ ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب على بابى وسمعت صوته ـ يعنى صاحب لواء الحمد ﷺ ـ فملئت رعبا ، ثم خرجت إليه وأن فوق رأسه فحلا من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط ، فوالله لو أبيت لأكلنى .

فضرب أشراف قريش كفا بكف وقالوا :

ـ كلما أردنا أن نسخر منه رد كيدنا إلى نحورنا ؟

*** زعماء قريش تفاوض السراج المنير ﷺ :**

وذات يوم اجتمع سادات قريش بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال أبو جهل بن هشام :

ـ واللات والعزى إنه لشىء عجيب ، لم يعد سوي العبيد ـ يعنى عبد الله بن مسعود ـ يأتون إلي البيت ويرددون شعر محمد ويزعمون أنه وحى يأتيه من السماء؟

قال عتيبة بن ربيعة :

ـ لم لا تفكر فى أمر جديد نكيد به لمحمد ودعوته ؟

قال أمية بن خلف :

ـ واللات والعزى انها لفتنة ، لقد سفه ابن عبد الله أحلامنا وسب آلهتنا وفرق جماعتنا .

قال شيبة بن ربيعة :

ـ إلى متى سنصبر على ذلك ؟

قال النضر بن الحارث :

ـ لقد فكرت فى سلاح جديد له أثر .

فهتف أبو جهل بن هشام :

ـ هات ما عندك ماذا تنتظر ؟

قال النضر بن الحارث :

ـ سلاح الجدل العقيم .

قال عقبة بن معيط :

ـ نعم الرأي انه يبلبل الفكر ويدعو إلى الريبة ويثير الشك .

هز أبو سفيان بن حرب رأسه وقال :

ـ إنه ـ يعنى محمدًا ﷺ ـ لصاحب عقل سليم ولديه الفطنة والذكاء ما يجعله يحاور ويناور .

قال النضر بن الحارث :

- يكفى أن نلقى بحصوات تعكر ماء الغدير .

قال الوليد بن المغيرة :

- وكيف يكون هذا الجدل يا أبا فراس ؟

قال النضر بن الحارث :

- نطلب من محمد أن يأتى لنا بالخوارق والمعجزات .

قال الأسود بن عبد المطلب بن أسد :

- نعم الرأى .

قال عبد الله بن أبى أمية والعاص بن وائل السهمى :

- ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه .

فانطلق رجل إلى بيت خديجة بنت خويلد فقالت له :

- إن رسول الله ﷺ عند عمه أبى طالب .

فذهب الرجل إلى بيت أبى طالب فوجد أبا القاسم ﷺ فقال له :

- إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فأتهم .

فنظر النبى الخاتم ﷺ نحو عمه أبى طالب وكأنه يسأله عن رأيه فتبسم أبو طالب وقال :

- اتهم يا ابن أخى .

فجاءهم رسول الله ﷺ سريعا وهم يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء ، وكان نبى الرحمة ﷺ حريصا يحب رشدهم ، ويعز عليه عنتهم ، حتي جلس إليهم فقالوا له:

- يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآلهة ، وسفهت الأحلام ،

وفرقت الجماعة ، فما بقى أمر قبيح إلا قد جئت فيما بيننا وبينك ، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتي تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا ، فنحن نسودك علينا ـ جعلناك سيدنا علينا ـ وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الشيء يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك ـ كانوا يسمون التابع من الجن رئيا ـ بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه ، أو نعذر فيك .

فقال لهم الصادق المصدوق ﷺ :

ـ ما بى ما تقولون ، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى إليكم رسولا ، وأنزل على كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيرًا ، فبلغتكم رسالات ربى ، ونصحت لكم ، فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم بينى وبينكم .

قالوا :

ـ يا محمد فإن كنت غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدا ولا أقل ماء ولا أشد عيشا منا ، فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهار كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصى بن كلاب ، فإنه كان شيخ صدق ، فنسألهم عما تقول :

أحق هو أم باطل ، فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك ، وعرفنا به منزلتك من الله ، وأنه بعثك رسولا كما تقول .

فقال إمام الخير ﷺ :

ـ ما بهذا بعثت إليكم من الله ، إنما جئتكم من الله بما بعثنى به ، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر

الله تعالى ، حتى يحكم الله بينى وبينكم .

قالوا :

ـ فإذا لم تفعل هذا لنا ، فخذ لنفسك ، سل ربك بأن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وسله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى ، فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم ، وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم .

فقال لهم الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذى يسأل ربه هذا ، وما بعثت إليكم بهذا ، ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا ، فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتي يحكم الله بينى وبينكم .

قالوا :

ـ فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل .

قال المبعوث رحمة للعالمين ﷺ :

ـ ذلك إلى الله إن شاء أن يفعله بكم فعل .

قالوا :

ـ يا محمد أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب فيتقدم فيعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا إذا لم تقبل منك ما جئتنا به ؟إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن ـ مسيلمة بن حبيب الكذاب ـ وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا ، فقد أعذرنا إليك يا محمد ، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتي نهلكك أو تهلكنا .

وقال قائلهم :

ـ نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله .

وقال قائلهم :

ـ لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا .

فلما قالوا ذلك للذى لا ينطق عن الهوى ﷺ قام عنهم ، وقام معه عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ـ وهو ابن عمة رسول الله ﷺ أمه عاتكة بنت عبد المطلب ـ فقال له :

ـ يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبل منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ، ويصدقوك ويتبعوك فلم تقبل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ، ومنزلتك من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل ، فوالله لا أؤمن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقي فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ثم تأتى معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وأيم الله لو فعلت ذلك ما ظننت أنى أصدقك.

ثم انصرف عن إمام الخير ﷺ ، وانصرف الرحمة المهداة ﷺ إلى أهله حزينا آسفا لما فاته مما كان يطمع من قومه حين دعوه ، وما رأى من مباعدتهم إياه .

*** أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ؟**

يقول على بن أبى طالب :

اجتمعت قريش وأرادوا قتل رسول الله ﷺ ، فأقبل هذا يجؤ ، وهذا يتلته ، فاستغاث النبى ﷺ يومئذ فلم يغثه أحد إلا أبو بكر وله ضفيرتان ، فأقبل يجأ ذا ويتلتل ذا ويقول بأعلى صوته :

﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ [سورة غافر الآية: ٢٨] والله إنه لرسول الله .

فقطعت أحدى ضفيرتى أبى بكر يومئذ .

يقول على بن أبى طالب :

ـ والله ليوم أبى بكر خير من مؤمن آل فرعون ، إن ذلك رجل كتم إيمانه ، فأثنى الله عليه فى كتابه ، وهذا أبو بكر أظهر إيمانه ، وبذل ماله ودمه لله عز وجل (أخرجه الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول) .

*** إرسال قريش إلى الحبشة فى طلب المهاجرين إليها .**

لما رأى أشراف قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها دارا وقرارا ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش إلى النجاشى فيردهم عليهم ليفتنوهم فى دينهم ، ويخرجوهم من دارهم التى اطمأنوا بها وأمنوا فيها ، فبعثوا عبد الله بن أبى ربيعة ، وعمرو بن العاص بن وائل السهمى ، وجمعوا لهما هدايا للنجاشى ولبطارقته ـ قواده ـ ثم بعثوهما إليه فيهم.

*** أبو طالب يمتدح أبا القاسم ﷺ :**

قال أبو طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

الغمام : السحاب ، مفرد : غمامة .

وكان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه :

ـ لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، وقولوا : عبد الله ورسوله.

والمعنى : لا تصفونى بما ليس فى من الصفات تلتمسون بذلك مدحى كما وصفت النصارى عيسى بما لم يكن فيه ، **فنسبوه إلى أنه ابن الله فكفروا بذلك وضلوا.**

*** شعر أبى طالب للنجاشى :**

أرسل أبو طالب حين رأى ذلك فى رأى سادات قريش وما بعثوا فيه عبد الله بن أبى ربيعةوعمرو بن العاص أبياتا للنجاشى يحضه على حسن جوار مهاجرى الحبشة والدفع عنهم فقال :

ألا ليت شعرى كيف في النأى جعفر   وعمرو وأعداء العدو الأقـارب

وهل نالت أفعال النجاشى جعفـرا   وأصحابه أو عاق ذلك شاغب

تعلم ، أبيت اللعن أنـك ماجـــد   كريم فلا يشقى لديك المجانب

تعلـــم بـــأن الله زادك بسطـــه   وأسبـــاب خبـــر كلهابك لازب

وأنك قيض ذو سجـــال غزيـــرة   ينال الأعادى نفعها والأقـــارب

النأى : البعد .

المجانب : الداخل فى الحمى .

لازب : لاصق .

السجال : الدلاء المملوءة أو الرطبة .

*** أبو طالب يرثى مسافر بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس :**

قال أبو طالب :

ليت شعرى مسافر بن أبى عمـــ   ـــرو وليت يقولها المحزون

بورك الميت الغريب كما بو   رك نبع الرمان والزيتون

قيل :

من بركة شجرة الزيتون والرمان أن أغصانهما تورق من أسفلها إلى أعلاها.

وقال عبد الله بن عباس :

- فى الزيتونة منافع : يسرج بالزيت ، وهو ادام ودهان ودباغ ، ووقود يوقد بحطبه وتفله ، وليس فيه شيء إلا وفيه منفعة ، حتى الرماد .

وهى أول شجرة نبتت فى الدنيا ، وأول شجرة نبتت بعد الطوفان.

وتنبت فى منازل الأنبياء والأرض المقدسة .

ودعا لها سبعون نبيا بالبركة ، منهم إبراهيم عليه السلام ، ومنهم محمد ﷺ فقال:

- اللهم بارك فى الزيت والزيتون - قاله مرتين -

* حديث أم سلمة عن الرسولين اللذين أرسلتهما قريش للنجاشى .

تقول هند بنت أبى أمية بن المغيرة زوج أبى سلمة بن عبد الأسد المخزومى.

لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشى ، أمنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى ، لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشى فينا رجلين منهم جلدين ، وأن يهدوا أدما - الأدم : الجلد - كثيرا ، ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص وأمروهما بأمرهم.

وقالوا لهما :

- ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشى فيهم ، ثم قدما إلى النجاشى هداياه ، ثم سلا ، أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم.

فخرجا حتى قدما على النجاشى ، ونحن عنده بخير داره عند خير جار ، فلم يبق بطريق من بطارقته إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشى ، وقالا لكل بطريق منهم:

ـ إنه قد ضوى ـ لجأ ـ إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا فى دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع ، لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم ، فإن قومهم أعلى بهم عينا ـ أبصر بهم من غيرهم ـ وأعلم بما عابوا عليهم.

فقالوا لهما :

ـ نعم .

ثم أنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما ، ثم كلماه ، فقالا له :

ـ أيها الملك : إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا فى دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم ، وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم ، فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه .

تقول أم سلمة :

ـ ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشى .

قالت بطارقته حوله :

ـ صدقا أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم.

فغضب النجاشى ثم قال :

ـ لاها الله ـ لا والله ـ إذن لا أسلمهم إليهما ، ولا يكاد قوم جاوروني ، ونزلوا بلادى ، واختارونى على سواى حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان ـ عمرو عبد الله

بن أبى ربيعة ـ في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاورونى.

*** الحوار الذى دار بين مهاجري الحبشة والنجاشى .**

أرسل النجاشى إلى أصحاب خاتم النبيين ﷺ فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال أبو عبيدة بن الجراح :

ـ قلبى يحدثنى أن مجئ عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة وراءه شر .

قال عثمان بن مظعون :

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ [سورة التوبة الآية : ٥١] .

تساءل مصعب بن عمير :

ـ ما تقول للرجل إذا جئتموه ؟

قال عبد الله بن مسعود :

ـ نقول والله ما علّمنا ، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائنا فى ذلك ما هو كائن.

وانطلق أصحاب رسول الله ، إلى قصر النجاشي ، فلما اقتربوا منه لقيهم جعفر ابن أبى طالب فأخبروه . . فقال جعفر :

ـ أنا خطيبكم اليوم .

ولما بلغوا قاعة العرش وجدوا النجاشى قد دعا أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله.

قال الزبير بن العوام :

- قد وشى بنا قومنا .

قال مصعب بن عمير :

- نعم وشوا بنا ، ما نقول للنجاشى ؟

فقال جعفر بن أبى طالب بأعلى صوته :

- جعفر بن أبى طالب يستأذن ومعه حزب الله.

وجاءه صوت النجاشى الذى سمع صوته :

- نعم . . يدخل بأمان الله وذمته .

وتقدم أصحاب أبى القاسم ﷺ مرفوعى الرءوس، ولم يسجدوا للنجاشى وقالوا:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فلما رأى عمرو بن العاص مهاجرى الحبشة لم يسجدوا للنجاشي وجدها نهزة - فرصة - ليوغر صدر النجاشى عليهم وقال:

- ألا ترى أيها الملك أنهم متكبرون ولم يحيوك بتحيتك ؟

فقال النجاشى غاضبا :

- ما منعكم أن تسجدوا لى وتحيونى بتحيتى التى أحيا بها ؟

قال جعفر بن أبى طالب :

- إنا لا نسجد إلا لله عز وجل أيها الملك ، أما تحيتنا فهى السلام تحية أهل الجنة

ثم نظر جعفر نحو عمرو بن العاص وعبدا لله بن أبى ربيعة وقال للنجاشى:

- أيها الملك : سل هذين الرجلين أعبيد نحن أم أحرار ؟ فإن كنا عبيدا قد أبقنا - هربنا - من موالينا فأرددنا إليهم .

التفت النجاشى نحو عمرو وعبد الله وكأنه يطلب منهما الإجابة عن سؤال جعفر ابن أبى طالب فقال عمرو بن العاص :

- بل أحرار .

فعاد جعفر يتساءل :

ـ هل أرقنا دما بغير حق فعلينا قضاؤه ؟

قال عمرو بن العاص :

ـ ولا قيراط .

فتساءل النجاشي :

ـ فما تطلبون منهم ؟

قال عمرو بن العاص :

ـ كنا وهم على دين واحد ، على دين آبائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره .

فقال النجاشي لجعفر :

ـ ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا فى دينى ، ولا فى دين أحد من هذه الملل ؟

قال جعفر بن أبى طالب :

ـ أيها الملك : كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الاصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، وأمر بالصلاة والزكاة و . . . ـ وعدد عليه أمور الإسلام ـ فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان ، وأن نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلي بلادك واخترناك على

من سواك ورغبنا فى جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك .

قال النجاشى :

ـ هل معك مما جاء به صاحبكم ـ يعنى رسول الله ﷺ ـ عن الله من شىء ؟

قال جعفر بن أبى طالب :

ـ نعم .

قال النجاشى :

ـ فاقرأه على .

فقال جعفر بن أبى طالب :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ كهيعص ① ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ② إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ③ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ④ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ⑤ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ⑥ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ⑦ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ⑧ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ⑨ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ⑩ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ⑪ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ⑫ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ⑬ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ⑭ وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ⑮ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ⑯ ﴾ [سورة مريم الآية : ١ ـ ١٦] .

فبكى النجاشى حتى أخضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتي أخضلوا مصاحفهم حين

سمعوا ما تلا عليهم ثم قال النجاشى لأساقفته:

ـ أنشدكم الله الذى أنزل الإنجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين القيامة نبيا مرسلا؟

قالوا :

ـ اللهم نعم بشرنا به عيسى وقال : من آمن فقد آمن بى ومن كفر به فقد كفر بى.

ثم قال النجاشى لجعفر بن أبى طالب :

ـ زدنا من هذا الكلام الطيب .

فقال جعفر :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الٓمٓ ① غُلِبَتِ الرُّومُ ② فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ③ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ④ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ⑤ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ⑥ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ⑦ أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ⑧ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ⑨ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ⑩ ﴾ [سورة الروم الآية : ١ ـ ١٠] .

كان النجاشى يصغى إلى جعفر بن أبى طالب وهو عاقد يديه خلف ظهره وعيناه محلقتان فى السماء ، ولما انتهى جعفر من قراءته قال النجاشى جعفر من قراءته قال

النجاشى وهو يتناول عودا من الحطب :

ـ زدنا من هذا الكلام الطيب .

فقال جعفر :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الٓمٓ ① أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ② وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ③ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ④ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ⑤ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ⑥ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ⑦ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ⑧ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ⑨ ﴾ [سورة العنكبوت الآية : ١ ـ ٩] .

فاضت عينا النجاشى بالدموع وقال :

ـ إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ـ المشكاة : الكوة فى الحائط غير النافذة ـ

قال الأساقفة :

ـ والله إن هذه الكلمات تصدر من النبع الذى صدرت منه كلمات يسوع المسيح.

*** رأى مهاجرى الحبشة فى عيسى أمام النجاشى .**

لما خرج عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة من عند النجاشى قال عمرو:

ـ والله لآتينه غدا عنهم بما استأصل به خضراءهم .

فقال عبد الله بن أبى ربيعة وكان أتقى الرجلين اللذين بعثا إلى النجاشى:

ـ لا تفعل يا أبا عبد الله فإن لهم أرحاما ، وإن كانوا خالفونا .

قال عمرو بن العاص :

ـ والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد .

ثم غدا عمرو بن العاص على النجاشى من الغد وقال له:

ـ أيها الملك : أنهم يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيمًا ، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه .

فأرسل النجاشى إلى مهاجرى الحبشة ليسألهم عن عيسي بن مريم.

يقول مهاجرو الحبشة :

ـ ولم ينزل بنا مثلها قط .

واجتمع القوم ، وتشاوروا وقال بعضهم لبعض :

ـ ماذا تقولون فى عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟

قالوا :

ـ نقول والله ما قال الله ، وما جاءنا به نبينا كائنا فى ذلك ما هو كائن.

فلما دخل مهاجرو الحبشة على النجاشى قال لهم :

ـ ماذا تقولون فى عيسى بن مريم ؟

قال جعفر بن أبى طالب :

نقول فيه الذى جاءنا به نبينا ﷺ .

ـ هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول .

فضرب النجاشى بيده إلى الأرض فأخذ منها عودا ثم قال :

ـ والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود .

فتناخرت ـ المنخر : ثقب الأنف ، النخير : صوت بالأنف ـ بطارقته حوله حين قال ما قال ، فقال النجاشى :

ـ وإن نخرتم والله .

ثم نظر إلى مهاجرى الحبشة وأردف :

ـ اذهبوا فأنتم شيوم ـ الشيوم : الآمنون ، وهى لفظة حبشية غير مشتقة أو تكون مشتقة من شمت السيف إذا أغمدته ، لأن الآمن مغمد عنه السيف ـ بأرضى ، من سبكم غرم ، من سبكم غرم ، من سبكم غرم ، ما أحب أن لى دبرا ـ الدبر : الجبل بلسان الحبشة ـ من ذهب وأنى أذيت رجلا منكم .

ثم نظر إلى بطارقته وقال :

ـ ردوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لى بها ، فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى ، فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فى فأطيع الناس فيه ـ كان أبو النجاشى ملك قومه ، ولم يكن له ولد إلا النجاشى وكان للنجاشى عم له من صلبه اثنا عشر رجلا ، فتواثبوا على ملكه من بعده ، وبقيت الحبشة بعده دهرا ، فعدوا على أبى النجاشى فقتلوه وملكوا أخاه ، فمكثوا على ذلك حينا ، ونشأ النجاشى مع عمه ، وكان لبيبًا حازما من الرجال، فغلب على أمر عمه ونزل منه بكل منزلة ، فلما رأت الحبشة مكانه منه قالوا : والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه وإنا لنتخوف أن يملكه علينا، وإن ملكه علينا ليقتلنا أجمعين ، لقد عرف أنا نحن قتلنا أباه ، فمشوا إلى عمه وقالوا : إما أن تقتل هذا الفتى وإما تخرجه من بين أظهرنا فإنا قد خفناه على أنفسنا ، قال: ويلكم قتلت أباه بالأمس وأقتله اليوم ؟ بل أخرجه من بلادكم ، فخرجوا به إلى السوق فباعوه من رجل من التجار بستمائة دهم فصحبه فى سفينة وانطلق به ، ولما كان

العشى من ذلك اليوم هاجت سحابة من سحب الخريف .

فخرج عم النجاشى يستمطر تحتها فأصابته صاعقة فقتلته ، ففزعت الحبشة إلى ولده فإذا هو محمق ، وليس فى ولده خير فمرج ـ اختلط ـ على الحبشة أمرهم ، ولما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك قال بعضهم لبعض : تعلموا والله أن ملككم الذى لا يقيم أمركم غيره للذى بعتم غدوة ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه الآن ، فخرجوا فى طلبه ، وطلب الرجل الذى اشترى النجاشى حتى أدركوه ، وأخذوه منه ، ثم جاءوا به فعقدوا عليه التاج ، وأقعدوه على سرير الملك فملكوه ، ثم جاءهم التاجر الذى كانوا باعوا النجاشى منه فقال : أما أن تعطونى مالى وإما أن أكلمه فى ذلك ؟ قالوا : لا نعطيك شيئا ، قال: إذن والله أكلمه ، قالوا: فدونك وإياه ، فجاء فجلس بين يديه وقال: يا أيها الملك : ابتعت غلاما من قوم بالسوق بستمائة درهم فأسلموا إلى غلامى وأخذوا دراهمى ، حتى سرت بغلامى أدركونى فأخذوا غلامى ومنعونى دراهمى ، فقال لهم النجاشى : لتعطنه دراهمه أو ليضعن غلامه فى يده ، فليذهبن به حيث شاء، قالوا بل نعطيه دراهمه، فلذلك قال النجاشى :

ـ ما أخذ الله منى رشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فأطيع الناس فيه .

قالوا :

ـ وكان ذلك أول ما خبر من صلابته فى دينه وعدله فى حكمه .

النجاشى : هو أصحمة بن أبحر ملك الحبشة

اسمه بالعربية: عطية .

والنجاشى لقب له .

أسلم على عهد رسول الله ﷺ ولم يهاجر إليه .

قال رسول الله ﷺ :

ـ سادة السودان ـ الأفارقة ـ أربعة : لقمان الحبشى ، والنجاشى ، وبلال ، ومهجع (رواه ابن عساكر) .

ولما أخبر الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ أن النجاشى قد مات ـ كان ذلك قبل فتح مكة فى العام الثامن من الهجرة ، وقيل فى العام التاسع ـ قال أبو القاسم ﷺ :

ـ إن أخاكم النجاشى قد مات فاستغفروا له (رواه الإمام أحمد ، والطبرانى ، وابن قانع عن جرير) .

وخرج نبى الوفاء ﷺ بالناس إلى المصلي فصف أصحابه وقال لمن كان جالسا :

ـ إن أخاكم النجاشى قد مات فقوموا فصلوا عليه (رواه ابن ماجه) .

يقول مجمع بن جارية الأنصارى وكان حاضرا :

ـ فصفنا خلفه صفين وكبر أربع تكبيرات .

وكان يرى نور على قبر النجاشى .

*** أبو جهل يريد قتل رسول الله ﷺ :**

ذات يوم جلس أبو جهل مع سادات قريش فى ظل الكعبة ثم قال وهو ينظر نحو أبى القاسم ﷺ :

ـ يا معشر قريش إن محمدا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وسب آلهتنا وإني أعاهد الله لأجلس له غدا فإذا سجد فى صلاته فضخت رأسه بحجر ، فليصنع بعد ذلك عبد مناف ما بدا لهم .

فلما أصبح أخذ أبو جهل حجرا كبيرا كان يجلس عليه ثم أخذ ينتظر مقدم خاتم النبيين ﷺ .

فلما قدم السراج المنير ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه ، ولما دنا منه ... رجع منبهتا ممتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على الحجر .. ثم قذفه من يديه بعيدا .

فقام إليه رجال من قريش وتساءلوا :

ـ ما بك يا أبا الحكم ؟

قال أبو جهل وهو يرتعد :

ـ قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الإبل ، والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ـ أصل العنق ـ ولا أنيابه لفحل قط فهم أن يأكلنى .

وكان الصادق المصدوق ﷺ عند عمه أبى طالب عندما قال له أحد أصحابه ما قاله أبو جهل فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ ذاك أخى جبريل ولو اقترب لأخذه .

*** قولوا لا إله إلا الله :**

اجتمع أشراف قريش فى فناء الكعبة ذات ضحى وقال أبو سفيان بن حرب :

ـ أغيظ ما يغيظنى أن أصحاب محمد قد نزلوا الحبشة وأصابوا بها أمنا وقرارا .

وأردف أمية بن خلف :

ـ وقد منع النجاشى من لجأ إليه وأنه رد عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة خائبين دون أن يسلم إليهما الصابئين .

قال النضر بن الحارث :

ـ إن محمدا قد سخر بأصحابه لما جعلهم يفرون إلى الحبشة فى سبيل وهم كبير .

قال أبو جهل بن هشام :

ـ إنى أرى أن نذهب إلى أبى طالب .

قال المطعم بن عدى :

ـ إن أبا طالب قد أبى خذلان ابن أخيه وإسلامه وإجماعه لفراقنا فى ذلك وعداوتنا.

قال أبو جهل بن هشام :

ـ إن أبا طالب ما زال على دين آبائه ، دعونا نسير إليه ونتحدث معه هذه المرة .

فمشى أبو البخترى بن هشام وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب والمطعم بن عدى وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل وأمية بن خلف و . . وحدثوا أبا طالب ، فبعث إلى ابن أخيه ﷺ فجاء .

فقال أبو طالب :

ـ يا ابن أخى هؤلاء عمومتك وأشراف قومك وقد أرادوا أن ينصفوك .

قال حبيب الرحمن ﷺ :

ـ قولوا أسمع .

قال أبو جهل بن هشام:

تدعنا وآلهتنا وندعك وإلهك .

فقال أبو طالب :

ـ لقد أنصفك القوم فاقبل منهم.

فقال المبعوث للناس كافة ﷺ :

ـ أرأيتكم إن أعطيتكم هذا هل أنتم معطى كلمة ؟ إن أنتم تكلمتم بها ملكتم بها العرب ودانت لكم بها العجم .

قال أبو جهل بن هشام :

ـ إن هذه الكلمة مريحة نعم وأبيك لنقولها وعشر أمثالها.

قال الرحمة المهداة ﷺ :

ـ قولوا : لا إله إلا الله .

فاشمأزوا ونفروا منها وغضبوا .

فقال أبو سفيان بن حرب:

ـ اصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد.

وخرجوا من عند أبى طالب وهم يقولون :

ـ لا تعودوا إليه أبدا وما خير من أن نغتال محمدا.

وأنزل العزيز الحكيم مبشرا وموضحا ما أعده للمهاجرين ﴿٤٠ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[سورة النحل الآية : ٤١]

فكبت الذين زعموا أن مهاجرى الحبشة هاجروا فى سبيل وهم كبير.

*** الصحيفة .. والمقاطعة :**

لما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا الحبشة وأصابوا بها أمنا وقرارا، وأن النجاشى قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمر بن الخطاب قد أسلم هو وحمزة بن عبد المطلب ، وأن الإسلام يفشو ـ ينتشر ـ فى القبائل ، اجتمعوا وفكروا فى سلاح جديد يحاربون به رسول الله ﷺ ومن تبعه غير سلاح الإضطهاد والتعذيب الذى فل ، فاقترح النضر بن الحارث أن يقتلوا محمد بن عبد الله ﷺ علانية .

وعلم حمزة بن عبد المطلب وأبو طالب ما عزم عليه سادات قريش فبعث أبو طالب إلى أخيه العباس بن عبد المطلب وانطلقوا إلى دار رسول الله ﷺ فلم يجدوه .

فجمع أبو طالب فتيانا من بنى هاشم وبنى عبد المطلب ثم قال :

ـ ليأخذ كل واحد حديدة ـ سيفا صارما ـ ثم ليتبعني ، إذا دخلت المجلس فليجلس كل فتى منكم إلى عظيم من عظمائهم فيهم ابن الحنظلية ـ أبو جهل بن هشام ـ فإنه لم يغب عن شر ، إن كان محمد قد قتل .

وجاء زيد بن حارثة فوجد حمزة والعباس وأبا طالب على تلك الحال فسأله أبو طالب:

ـ يا زيد أرأيت ابن أخى ؟

قال زيد بن حارثة :

ـ نعم كنت معه آنفا .

قال أبو طالب :

ـ لا أدخل بيتى أبدا حتى أراه .

فخرج زيد بن حارثة ومعه حمزة بن عبد المطلب حتى أتيا الصادق المصدوق ﷺ فى دار الأرقم من أبى الأرقم المخزومى ـ دار الإسلام ـ ومعه أصحابه فأخبره عمه حمزة الخبر ، فجاء النبى عليه الصلاة والسلام إلى عمه أبى طالب فقال:

ـ يا ابن أخى أين كنت ؟ أكنت بخير ؟

قال سيد الأولين والآخرين ﷺ :

ـ نعم .

قال أبو طالب :

ـ أدخل بيتك .

فدخل أبو القاسم ﷺ داره .

ولما أصبح أبو طالب غدا على نور الظلمة ﷺ فأخذه بيده فوقف على أندية قريش

ومعه فتيان بنى هاشم وبنى عبد المطلب وقال:

- يا معشر قريش : هل تدرون ما هممت به ؟

قالوا :

- لا .

فقال أبو طالب للفتيان :

- اكشفوا عما في أيديكم .

فكشفوا . فإذا كل فتى معه حديدة صارمة .

فقال أبو طالب :

- والله لو قتلتموه ما بقيت منكم أحدا حتى نتفانى نحن وأنتم.

فانكسر القوم ، وكان أشدهم انكسارا أبو جهل بن هشام .

واجتمع أشراف قريش فى خيف بنى كنانة بالأبطح وأخذوا يتشاورون .

قال أبو جهل بن هشام :

- لقد رفض أبو طالب أن يسلمنا ابن أخيه ولم يعد أمامنا إلا قتل محمد علانية .

قال سادات قريش :

- نعم الرأى .

ولما بلغ أبو طالب ذلك جمع بنى هاشم وبنى عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ إلى شعبهم وأن يمنعوه ممن أرادوا قتله .

وخرج بنو هاشم وبنو عبد المطلب مسلمهم وكافرهم فمنهم من فعله حمية ومنهم من فعله إيمانا ويقينا إلا ما كان من أبى لهب بن عبد المطلب فقد لقى هند بنت عتبة

زوجته أبى سفيان بن حرب فقال :

ـ كيف رأيت نصري للات والعزى ؟

قالت هند بنت عتبة :

ـ لقد أحسنت ، فجزاك الله خيرا يا أبا عتبة .

فأخذ أبو لهب ولده وظاهروا قريشا على رسول الله ﷺ وبنى هاشم وبنى عبد المطلب .

ولما رأت قريش أن بنى هاشم وبنى عبد المطلب منعوا النبى الخاتم ﷺ اجتمعوا وائتمروا وكتبوا كتابا أجمعوا فيه على أن لا ينكحوا بنى هاشم وبنى عبد المطلب ولا ينكحوا إليهم ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم شيئا .

وعلقوا هذه الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا لذلك الأمر على أنفسهم .

ولما علم أبو طالب بأمر الصحيفة الظالمة القاطعة أدرك أن الحرب قد أعلنت على بنى هاشم وبنى عبد المطلب، وأن قريشا اجتمعت على ذلك وصنعوا فيه الذى صنعوا قال:

ألا أبلغا عنى على ذات بيننا ... لؤيا وخصامن لؤى بنى كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا ... نبيا كموسى خط فى أول الكتب
وأن عليه في العباد محبة ... ولا خير ممن خصه الله بالحب
وأن الذى ألصقتم من كتابكم ... لكم كائن نحسا كراغية السقب
أفيقوا قبل أن يحفر الثرى ... ويصبح من لم يجن ذنبا كذى الذنب
ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا ... أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حربا عوانا وربما ... أمر على من ذاقه جلب الحرب

فلسنا ورب البيت نسلم أحمدا لعزاه من عض الزمان ولا كرب
ولما تبين منا ومنكم سوالف وأيد أترت بالقساسية الشهب
بمعترك ضيق ترى كسر القنا به والنسور الطخم يعكفن كالشرب
كأن مجال الخيل فى حجراته ومعمعة الأبطال معركة الحرب
أليس أبونا هاشم شد أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
ولسنا نمل الحرب حتى تملنا ولا نشتكى ما قد ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفائظ والنهى إذا طار أرواح الكماة من الرعب

الرغاء : صوت الإبل .

السقب : ولد الناقة والمراد به هنا ولد ناقة صالح عليه السلام .

العزاء : الشدة .

السوالف : صفحات الأعناق .

أترت : قطعت.

القساسية : سيوف تنسب إلى جبل يسمى قساس .

الطخم : سود الرءوس .

الشراب : جماعة الشاربين .

الحجرات : النواحى.

ولما علم رسول الله ﷺ أن منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار كان كاتب تلك الصحيفة دعا عليه .

وقيل :

الذى كتب الصحيفة الظالمة القاطعة هو النضر بن الحارث .

فدعا عليه رسول الله ﷺ فشل بعض أصابعه.

وضربت قريش حول شعب أبى طالب حصارا من الحرس يمنعون من فيه من الخروج ويمنعون الناس من الدخول أو الاتصال بمن قبل حماية رسول الله ﷺ .

وانقضت سنة وبنو هاشم وبنو عبد المطلب فى ضيق ، ولما جاءت الأشهر الحرم وقامت الأسواق استطاع بعض أصحاب رسول الله ﷺ الفرار من الحرس ووردوا الأسواق ، ولكن عبد العزى بن عبد المطلب - أبو لهب - عرفهم وقال :

- يا معشر التجار غالوا محمدا وأصحابه حتى لا يدركوا شيئا معكم قد علمتم وفاء ذمتى.

فيزيد التجار على اتباع رسول الله ﷺ فى السلعة قيمتها أضعافا حتى يرجعوا إلى أطفالهم وليس فى أيديهم شىء من الطعام.

وأكل بنو هاشم وبنو عبد المطلب حشاش الأرض وأوراق الشجر .

*** أبو جهل بن هشام يحكم الحصار على المسلمين .**

أحكم أبو جهل بن هشام الحصار حول شعب أبى طالب حتى اشتد البلاء على بنى هاشم وبنى عبد المطلب وذات يوم لقى أبو جهل حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ومعه غلام يحمل قمحًا يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهى عند رسول الله ﷺ ومعه فى الشعب ، فتعلق أبو جهل بحكيم بن حزام وقال له :

- أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم ؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة .

فجاء أبو البخترى بن هشام فقال لأبى جهل :

- طعام كان لعمته خديجة عنده بعثت إليه فيه أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ خل سبيل

الرجل .

فأبى أبو جهل بن هشام ، حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو البخترى لحى بعير فضرب به أبا جهل فشجه ووطئه وطأ شديدا . فضرب حكيم بن حزام دبر البعير بيده .

وكان حمزة بن عبد المطلب ينظر إليهم وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه فيشمتوا بهم.

ولما ضرب حكيم بن حزام دبر البعير انطلق إلى شعب أبى طالب ، فلما رآه بنو هاشم وبنو عبد المطلب فرحوا فرحا شديدا .

وجاءت الأشهر الحرم فخرج المبعوث للناس كافة ﷺ من الشعب وعرض نفسه على القبائل وقال عليه الصلاة والسلام :

- إنى رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا .

لكن أبا لهب كان يسير وراءه كظله ويقول:

- إن هذا الرجل يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا له .

فينفض الناس من حول الصادق المصدوق ﷺ عندما يعلمون أن ذلك الرجل هو عمه أبو لهب فيقولون :

- أهله أعلم به .

فيرجع المبعوث للناس كافة ﷺ إلى الشعب مطرق الرأس ووجهه تكسوه المرارة.

ووضعت أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب مولودا فى الشعب ، وطلبت لبابة الكبرى من النبى الخاتم ﷺ أن يسميه ، فقال إمام الخير ﷺ :

- عبد الله .

وحنكه حبيب الرحمن ﷺ بريقه - لا يعلم أحد حنكه أبو القاسم ﷺ بريقه غير عبد الله بن عباس -

ولم يعترض العباس بن عبد المطلب على ذلك الاسم ، فقد كانت عواطفه مع ابن أخيه ﷺ ومع ما يدعو إليه وإن كان ما زال مشركا .

وذاع فى قريش أن عبد الله بن عباس قد ولد فى الشعب ففرح أناس لذلك الهوان الذى نزل بأبي الفضل صاحب السقاية والرفادة والصيت العريض .

وربط بنو هاشم وبنو عبد المطلب حجارة على بطونهم تخفيفا لآلام الجوع .

وانصرمت ثلاث سنين ، وأوشك الجوع والعطش أن يدفعا الهاشميين والمطلبين إلى تسليم رسول الله ﷺ .

وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالا شديدًا ، وذات ليلة .

قال بعض المسلمين :

ـ يا نبى الله ادعو لنا ربك لكى يجعل لنا مخرجا من هذا الضيق والبلاء.

فطلب الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ من عمه أبى طالب وبعض شيوخ بنى هاشم أن يذهبوا إلى سادات قريش ويخبروهم أن العليم الخبير قد سلط الأرضة على صحيفتهم الظالمة القاطعة فلحست كل جور أو ظلم أو قطيعة رحم وبقى فيها ما ذكر به الله.

خرج هشام بن عمرو تحت جناح الظلام إلى زهير بن أبى أمية ـ ابن عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ـ وقال له :

ـ يا زهير أوقد رضيت أن نأكل الطعام ونلبس الثياب وننكح النساء وأخوالك كما علمت لا يبتاعون ولا يباع منهم ؟ ينكحون ولا ينكح منهم ، ألا إنى أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبى الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدا .

تساءل زهير بن أبي أمية :

ـ ويحك يا هشام فما أصنع ؟ أنا واحد، والله لو كان معى رجل آخر لقمت فى

نقض الصحيفة .

قال هشام بن عمرو :

ـ لقد وجدت رجلا .

عاد زهير بن أبى أمية يتساءل :

ـ من هو ؟

قال هشام بن عمرو :

ـ أنا .

قال زهير بن أبى أمية :

ـ ابغنا ثالثا .

فأسرع هشام بن عمرو إلى المطعم بن عدى وأبى البخترى بن هشام وزمعة بن الأسود وذكر لهم قرابتهم وحقهم ، ثم عادوا إلى زهير بن أبى أمية واجتمعوا وتعاهدوا على القيام فى نقض الصحيفة .

فقال زهير بن أبى أمية :

ـ أنا أبدؤكم فأكون أول من تكلم.

فارتدى عباءة جديدة وطاف بالبيت سبعا ، ثم أقبل على الناس وقال :

ـ يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى ولا يبتاعون ولا يباع منهم ؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة .

قال أبو جهل :

ـ كذبت والله لا تشق.

قال زمعة بن الأسود :

ـ أنت والله أكذب وما رضينا بها حين كتبت .

قال أبو البخترى بن هشام :

ـ صدق زمعة بن الأسود ولا نرضى ما كتب فيها .

قال المطعم بن عدى :

ـ صدقتما وكذب من قال غير ذلك .

قال هشام بن عمرو لأبى جهل بن هشام :

ـ لو كانوا أخوالك ثم دعوناك إلى مثل ما تدعونا إليه . . ما أجبت إلينا أبدا.

قال أبو جهل بن هشام :

ـ هذا أمر قضي بليل وتشوور فيه بغير هذا المكان .

قال زهير بن أبى أمية :

ـ الا تكفى ثلاث سنين نضبت أثداء نساء بنى هاشم وبنى عبد المطلب وتعالت صرخات الأطفال فدعا محمد على كاتب الصحيفة فشلت يده ؟

قال أبو جهل بن هشام :

ـ لن تمزق الصحيفة حتى يأتى بنو هاشم وبنو عبد المطلب خاضعين ويسلمون محمدًا فنقتله .

أقبل أبو طالب وشيوخ بنى هاشم فقال :

ـ لقد حدثت أمور بينكم ، فإن ابن أخى أخبرنى ولم يكذبنى أن الله أرسل على صحيفتكم الأرضة فأكلت ما فيها من قطيعة رحم وظلم وجور وتركت اسم الله تعالى ، فأحضروها فإن كان صادقا علمتم أنكم ظالمون لنا قاطعون لأرحامنا ، وإن كان كاذبا علمنا

أنكم على حق وإنا على باطل .

قال الملأ الذى اجتمع حول الحرم :

- قد رضينا بالذى تقول .

فقاموا سراعا وأحضروا الصحيفة من جوف الكعبة ، فوجدوا الأمر كما ذكر الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ .

فقال أبو طالب وقد اشتد صوته :

- قد تبين لكم أنكم أولى بالظلم والقطيعة .

فنكسوا رءوسهم . . ثم قالوا :

- إنما تأتوننا بالسحر والبهتان .

فقال المطعم بن عدى وزهير بن أمية وهشام بن عمرو وأبو البخترى وزمعة بن الأسود:

- نحن برءاء مما فى هذه الصحيفة الظالمة .

فقال أبو طالب :

- علام نحبس ونحصر وقد بان الأمر ؟

فمزق المطعم بن عدى الصحيفة .

ودخل أبو طالب وشيوخ بنـى هاشم بين أستار الكعبة وقال أبو طالب :

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة ... متى ما يخبر غائب القوم يعجب

محا الله منهم كفرهم وعقوقهم ... وما نقموا من ناطق الحق معرب

فأصبح ما قالوا من الأمر باطلا ... ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب

وانطلق أناس فيهم أبو البخترى بن هشام وزهير بن أبى أمية والمطعم بن عدى وهشام بن عمرو وزمعة بن الأسود ولبسوا السلاح ثم انطلقوا إلى شعب أبى طالب الذى قال بأعلى صوته :

ـ لقد صدق ابن أخى ومزقت الصحيفة الظالمة .

فارتفعت أصوات المسلمين بالتكبير .

وخرج بنو هاشم وبنو عبد المطلب من شعب أبى طالب إلى دورهم فى حراسة المطعم بن عدى وهشام بن عمرو وزهير بن أبى أمية وأبى البخترى وزمعة بن الأسود.

*** أبو طالب يمتدح الذين قاموا فى نقض الصحيفة .**

ألا هل بحرينا صنع ربنا	على نأيهم والله بالناس أرود
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت	وأن كل ما لم يرضه الله مفسد
تراوحها إفك وسحر مجمع	ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد
تداعى لها من ليس فيها بقرقر	فطائرها في رأسها يتردد
وكان كفاء رقعة بأثيمة	ليقطع منها ساعد ومقلد
ويظعن أهل المكتبن فيهربوا	فرائصهم من خشبة الشر ترعد
ويترك حراث يغلب أمره	أيتهم فيهم عند ذاك وينجد
وتصعد بين الأخشبين كتيبة	لها حدج سهم وقوس ومرهد
فمن ينشى من حضار مكة عزه	فعزتنا فى بطن مكة أتلد
نشأنا بها والناس فيها قلائل	فلم تنفك نزداد خيرا ونحمد
ونطعم حتى يترك الناس فضلهم	إذا جعلت أيدى المفيضين ترعد

جزى الله رهطا بالحجون تتابعوا على ملأ يهدى لحزم ويرشد
قعودا لدى خطم الحجون كأنهم مقاولة بل هم أعز وأمجد
أعان عليها كل صقر كأنه إذا مشى فى رفرف الدرع أحرد
وكنا قديما لا نقر ظلامة وندرك ما شئنا ولا نتشدد
فيا لقصى هل لكم فى نفوسكم وهل لكم قيما يجئ به غد
فإنى وإياكم كما قال قائل لديك البيان لم تكلمت أسود

الأرود : الأرفق .

القرقر : الذليل ، السهل اللين .

المقلد : العنق .

الحراث : المكتب .

أيتهم : بمعنى أتهم أى أتى تهامة ، وهى ما انخفض من أرض الحجاز إلى البحر.

وأنجد : أتى نجدا ، وهى ما ارتفع عن أرض الحجاز إلى الشرق.

حُدُج : جمع حِدْج وهو الحمل ، أى لا يقوم مقام الجمل.

سهم وقوس ومرهد : وقيل هو من الحدج بمعنى الحسك ، فجعل السهم وغيره كالحسك .

المرهد : الناعم ، أى السيف الناعم بارتوائه من الدماء .

المفيضون : الضاربون بقداح الميسر.

المقاولة : الملوك .

رفرف الدرع : ما فضل منه.

الأحرد : بطئ المشى لثقل ما عليه من لباس الحرب.

أسود : اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل فلم يعرف قاتله فقال أولياء القتيل هذه المقالة.

*** دعوه فإنما هو رجل أبتر :**

اجتمع عتبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وأبو سفيان بن حرب وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف ذات ضحى فقال أبو سفيان بن حرب :

ـ لقد اشتكى أبو طالب وبلغنى ثقله.

قال أمية بن خلف :

ـ منذ أن أسلم حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب وقد فشا أمر محمد فى القبائل كلها.

قال عتبة بن ربيعة :

ـ انطلقوا بنا إلى أبى طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا .

قال شيبة بن ربيعة :

ـ صدقت يا أبا الوليد فإنا والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا.

قال أبو جهل بن هشام :

ـ وإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شئ فتعيرنا العرب ويقولون : تركوه حتى مات عمه تناولوه .

فمشى العاص بن وائل وأبو سفيان بن حرب وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف إلى أبى طالب ودخلوا عليه .

قال أبو سفيان بن حرب :

ـ يا أبا طالب إنك منا حيث علمت وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك وقد علمت

الذى بيننا وبين ابن أخيك فادعه فخذ لنا منه وخذ له منا ليكف عنا ونكف عنه وليدعنا وديننا ولندعه ودينه .

فبعث أبو طالب إلى إمام الخير ﷺ ، فلما جاء قال أبو طالب :

- يا ابن أخى هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليعوطك وليأخذوا منك.

قال الصادق المصدوق ﷺ :

- يا عم كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم.

قال أبو جهل بن هشام:

- نعم وأبيك وعشر كلمات .

قال نور الظلمة ﷺ :

- تقولون : لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه .

فصفقوا بأيديهم ثم قالوا فى عجب :

- يا محمد أتريد أن تجعل الآلهة إلها واحدا ؟ أن أمرك لعجب .

قال العاص بن وائل السهمى:

- دعوه فإنما هو رجل أبتر لا عقب له ، لو مات انقطع ذكره واسترحتم منه .

وتفرق سادات قريش

فنزل قوله تعالى ﴿ نَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة الكوثر الآية :٣] .

أى مبغضك وهو العاص بن وائل هو الأبتر ، وكانت العرب تسمى من كان له بنون وبنات ثم مات البنون وبقى البنات : أبتر .

*** موت أبى طالب**

حين ثقلت وطأة المرض على أبى طالب أسرع أشراف قريش إليه ، فقد كانوا

يخشون أن يلح عليه ابن أخيه ﷺ فينطق بشهادة الحق ويعتنق الإسلام قبل موته ، فالتفوا حول فراشه ، ولما أقبل المبعوث رحمة للعالمين ﷺ كان بين أبى طالب وسادات قريش فرجة فخشى أبو جهل بن هشام أن يجلس إمام الأنبياء ﷺ فى تلك الفرجة فيصبح قريبا من أذن عمه أبى طالب ، فوثب أبو جهل وجلس فى تلك الفرجة ، ولم يجد الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ مجلسا قرب عمه فجلس عند الباب . ثم قال عليه الصلاة والسلام:

ـ خلوا بينى وبين عمى .

فقال أشراف قريش :

ـ ما نحن بفاعلين ، وما أنت بأحق به منا ، إن كانت لك قرابة فإن لنا قرابة مثل قرابتك.

قال أبو طالب :

ـ يا ابن أخى ما تريد من قومك ؟

قال الهادى البشير ﷺ :

ـ يا عم إنما أريد أن يقولوا : لا إله إلا الله .

قال أبو طالب :

ـ والله يا ابن أخى ما رأيتك سألتهم شططا ـ الشطط : مجاوزة القدر فى بيع أو طلب أو احتكام أو غير ذلك من كل شيء ، شط : جار فى قضيته ، والمعنى لا بعد عن الحق ـ يا معشر قريش أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا .

فلما سمع سيد الأولين والآخرين ﷺ ذلك من عمه طمع فى إسلامه فقال :

ـ يا عم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك ؟

فقال أبو طالب :

ـ فما تريد يا ابن أخى ؟

قال المبعوث رحمة للعالمين ﷺ :

ـ أريد أن تقول : لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله.

فقال أبو طالب فى وهن :

ـ يا ابن أخى قد علمت أنك صادق ، ولكنى أكره أن يقال أنى قلتها جزعا من الموت.

قال رسول الله ﷺ :

ـ أى عم فأنت فقلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة .

قال أبو طالب :

ـ والله يا ابن أخى لولا مخافة السبة عليك وعلى بنى أبيك من بعدى وأن تظن أنى أنما قلتها جزعا من الموت لأقررت بها عينيك لما أرى من شدة وجدك.

وأقبل عقبة بن أبى معيط ، والنضر بن الحارث ، والأسود بن أبى البخترى فقال أبو طالب :

ـ يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه ، وقلب العرب فيكم المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع ، لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا إلا أحرزتموه ، ولا شرفا إلا أدركتموه ، فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة ، أوصيكم بتعظيم هذه الكعبة فإن فيها مرضاة للعرب وقواما للمعاش ، صلوا أرحامكم ولا تقطعوها فإن صلة الرحم فسحة في الأجل وزيادة فى العدد ، وأتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم ، أجيبوا الداعى وأعطوا السائل فإن فيهم شرف الحياة والممات ، وعليكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة فإن فيهما محبة فى الخاص ومكرمة العام.

وصمت أبو طالب ليلتقط أنفاسه ، فقام المبعوث رحمة للعالمين ﷺ ودنا منه وقال فى توسل :

ـ قل يا عم : لا إله إلا الله .

ولكن أبا طالب قلب عينيه الذابلتين الواهنتين فى وجوه أشراف قريش واستطرد قائلا :

ـ وإنى أوصيكم بمحمد خيرا فإنه الأمين فى قريش وهو الجامع لكل ما أوصيكم به، وقد جاء بأمر قبله الجنان ـ القلب ـ وأنكره اللسان مخافة الشنآن ـ الشنئ : المبغض ـ وأيم الله كأنى أنظر إلى صعاليك العرب وأهل البر فى الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديها أذنابا ، ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا إذ أعظمهم عليه أحوجهم إليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده ، قد محضته ـ صدقته وأخلصت له ـ العرب ودادها وأعطته قيادها دونكم .

يا معشر قريش : كونوا له ولاة ولحزبه حماة .

والله لا يسلك أحد منكم سبيله إلا رشد ولا يأخذ بهديه إلا سعد .

ولاحت رقة فى وجه على بن أبى طالب واستبد به انفعال شديد وكأنه يريد أن يقتلع من شفتى أبيه شهادة الحق فيتوج جليل أعماله فى حماية دعوة ابن أخيه ﷺ بتاج المتقين ويفوز بجنة النعيم .

وأراد حمزة بن عبد المطلب أن يتوسل إلى أخيه أبى طالب أن ينطق بالشهادتين فقد كان جندا من أجناد الله يؤيد ويحمى ابن أخيه ﷺ حتى يبلغ أمر ربه .

ودنا نبى الرحمة ﷺ من عمه ومال عليه وهو يعانى سكرات الموت وقال عليه الصلاة والسلام :

ـ يا عم قل : أشهد أن لا إله إلا الله .

وارتمى على بن أبى طالب على صدر أبيه وراح يهمس فى أذنه يريد أن ينتزع من شفتيه الشهادتين ويستجيب لرجاء وأمنية ودعوة خاتم النبيين ﷺ ، ولكن أبا طالب أغمض عينيه.

وعاد صاحب الشفاعة ﷺ يقول لعمه :

ـ قل يا عم قل : أشهد أن لا إله إلا الله .

وخشى سادت قريش أن يلين شيخ بنى هاشم لتوسلات ابن أخيه ﷺ فقالوا:

ـ على ملة عبد المطلب.

فقال أبو طالب :

ـ بل على ملة عبد المطلب .

فقال عبد الله بن أبى أمية :

ـ على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف .

فقال أبو طالب في صوت كأنه آت من أعماق سحيقة :

ـ أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف.

وشهق أبو طالب شهقة فإذا به فى الغابرين ـ الهالكين ـ .

تساءل على بن أبى طالب :

ـ هل نطق أبى الشهادة ؟

قال العباس بن عبد المطلب ـ كان ما زال على دين قومه ـ:

ـ لقد قال أخى الكلمة التى أمره بها ابن أخيه أن يقولها .

فقال السراج المنير ﷺ :

ـ لم أسمع

نظر العباس بن عبد المطلب نحو أخيه حمزة وسأله :

ـ ألم تسمع أخاك أبا طالب وهو يقول الكلمةالتى أمره محمد أن يقولها؟

قال أبو عمارة :

ـ كان رسول الله ﷺ أقرب إليه ولم يسمع

قال على بن أبى طالب:

ـ يا رسول الله إن عمك الضال قد مات.

قال نبى الرحمة ﷺ :

ـ انطلق فواره ثم لا تحدثن شيئا حتى تأتينى .

فواراه على وهال عليه التراب ثم أتى إمام الخير ﷺ فأمره أن يغتسل ، فاغتسل على فدعا له المبعوث للناس كافة ﷺ بدعوات كانت خيرا من الدنيا وما فيها.

ثم قال سيد الأولين والآخرين ﷺ :

ـ وصلتك رحم وجزيت خيرا يا عم .

فقال العباس بن عبد المطلب :

ـ يا ابن أخى ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك .

فقال صاحب الشفاعة ﷺ :

ـ لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة .

وقيل :

قال العباس بن عبد المطلب :

- يا محمد : إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ، فهل نفعه ذاك ؟

قال أبو القاسم ﷺ :

نعم ، وجدته فى غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح (رواه مسلم).

ثم قال أبو القاسم ﷺ :

- **لأستغفرن لك ما لم أنه عنك** (أخرجه البخارى ومسلم) .

فنزل قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [سورة التوبة الآية : ١١٣] .

فجاءت البشرى لأبى طالب رجل الوفاء فى زمن الأشقياء بأنه من أصحاب النار .

*** شفاعة الرسول ﷺ لعمه أبى ابن طالب :**

يقول العباس بن عبد المطلب :

قلت : يا محمد : إن أبا طالب كان يحوطك وينظرك ، فهل نفعه ذلك ؟

قال عليه الصلاة والسلام :

- **نعم ، وجدته في غمرات النار فأخرجته إلى ضحضاح** (رواه مسلم) .

فمن من الجائز أن يخفف عن الكافر بعض العذاب بما عمل من الخير لكن مع انضمام شفاعة كما جاء في أبى طالب ، فأما غيره فقد أخبرنا التنزيل بقوله ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [سورة المدثر الآية : ٤٨] .

وقال مخبرا عن الكافرين :

﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ [سورة الشعراء الآية : ١٠٠ - ١٠١].

يقول أبو سعيد الخدرى :

إن رسول الله ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب فقال :

لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه (رواه مسلم) .

ويقول أبو الفضل :

ذكرت أخي أبا طالب عند رسول الله ﷺ فقال :

ـ ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار .

وقال الصادق المصدوق ﷺ :

ـ أهون أهل النار عذابا أبو طالب وهو منتعل بنعلين من نار يغلى منهما دماغه (أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب أهون أهل النار عذابا ، والإمام أحمد عن ابن عباس).

وقال الذى أوتى جوامع الكلم ﷺ :

ـ أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل يوضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه (رواه مسلم عن النعمان بن بشير) .

وقال عليه الصلاة والسلام :

ـ إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل يوضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل بالقمقم (رواه البخارى ، الترمذى عن النعمان بن بشير).

*** أبو طالب يوصى أخاه أبا لهب :**

لما حضرت الوفاة أبا طالب أوصى أبا لهب بن عبد المطلب برسول الله ﷺ ليكون له وزيرا وعضدا فقال :

فلا تتركنه مــا حييــت لمعظـم وكن رجلا ذا نجدة وعفـــاف

تذود العدا عن عصبية هاشمية إلا فهم فى الناس خيــر إلاف

فلما مات أبو طالب جاء أبو لهب فقال لأبى القاسم ﷺ :

ـ يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعا إذا كان أبو طالب حيا فاصنعه ، لا واللات والعزى لا يوصل إليك حتى أموت.

وسب أبو الغيطة النبى ﷺ ، فأقبل أبو لهب ونال منه ، فولى أبو الغيطة يصيح:

ـ يا معشر قريش : صبأ أبو عتبة .

فأقبل أشراف قريش ووقفوا بباب عبد العزى بن عبد المطلب وقالوا:

ـ أحقا ما سمعنا يا أبا عتبة ؟

فتساءل أبو لهب :

ـ وماذا سمعتم ؟

قالوا :

ـ إنك صبأت وتبعت محمدا

قال أبو لهب :

ـ من صاحب هذا القول ؟

قالوا :

ـ الناس يرددون .

قال عبد العزى بن عبد المطلب :

ـ وهل آفة الأخبار إلا رواتها ؟

قالوا :

ـ ألم تصبأ ؟

قال أبو لهب :

ـ ما فارقت دين عبد المطلب ، ولكن أمنع ابن أخى أن يضام حتى يمضى لما يريد.

فقال سادات قريش هازئين :

ـ لقد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم .

كان أشراف قريش لا يريدون معارضة أبى لهب حتى لا يصر على نصرة ومنعة ابن أخيه ، فقد كانوا يعلمون أنه سكير وأنه أحمق وقد ينسلخ عنهم أو تركبه العصبية والحمية فينضم إلى أبى القاسم ﷺ فتشتد دعوته.

وجاء أبو جهل بن هشام وعقبة بن أبى معيط عبد العزى بن عبد المطلب وقالا له:

ـ يا أبا عتبة : أأخبرك ابن أخيك مدخل عبد المطلب ؟

قال أبو لهب :

ـ لا .

قال عقبة بن أبى معيط وأبو جهل :

ـ اذهب إليه وسله .

فانطلق أبو لهب إلى ابن أخيه ﷺ وسأله :

ـ يا محمد : أين مدخل عبد المطلب ؟

قال الصادق المصدوق ﷺ :

ـ مع قومه .

فرجع عبد العزى بن عبد المطلب إلى أبى جهل فقال :

ـ سألته فقال : مع قومه .

فقال أبو جهل وعقبة بن أبى معيط :

ـ يزعم أنه فى النار .

فعاد أبو لهب إلى النبى ﷺ وسأله :

ـ يا محمد : أيدخل عبد المطلب النار ؟

قال المبعوث للناس كافة ﷺ :

ـ ومن مات على ما مات عليه عبد المطلب دخل النار.

فركب الغضب والحمق أبا لهب وقال:

ـ لا برحت لك إلا عدوا أبدا وأنت تزعم أن عبد المطلب فى النار .

وعاد أبو لهب وامرأته وسادات قريش أشد عداوة وإيذاء الخاتم النبيين ﷺ وأصحابه .

*** أمنية الرحمة المهداة ﷺ :**

كان المبعوث رحمة للعالمين ﷺ يتمنى إيمان عمه أبى طالب وإيمان عمه أبى أبى لهب وصناديد قريش مع علمه بأنه لا يكون ، وكان ﷺ يقول :

ـ واشوقاه إلى إخوانى الذين يجيئون من بعدى يؤمنون بى ولم يرونى .

وهذا كله يدل على أن التمنى لا ينهى عنه إذا لم يكن داعية إلى الحسد والتباغض.

*** الخروج إلى الطائف :**

لما مات أبو طالب ، خرج رسول الله ﷺ وحده إلى الطائف يلتمس من ثقيف

النصرة فقصد عبد ياليل ومسعودا وحبيبا وهم أخوة - بنو عمرو بن عمير - وعندهم امرأة من قريش من بنى جمح ، فدعاهم إلى الإيمان وسألهم أن ينصروه على قومه - قريش - فقال أحدهم :

- هو يمرط - ينزع ويمزق - ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك.

وقال الآخر :

- ما وجد الله أحدا يرسله غيرك ؟.

وقال الثالث :

- والله لا أكلمك كلمة أبدا إن كان الله أرسلك كما تقول ، فأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام وإن كنت تكذب فما ينبغى لى أن أكلمك .

وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويضحكون به ، حتى اجتمع عليه الناس والجأوه إلى حائط - بستان - لعتبة وشيبة ابنى ربيعة .

قال رسول الله ﷺ للمرأة الجمحية :

- ماذا لقينا من أحمائك ؟

ثم قال صاحب الخلق العظيم ﷺ :

اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس .

يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، لمن تكلنى ؟

إلى عبد يتجهمنى ؟ أو إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك هى أوسع لى.

أعوذ بنور وجهك من أن ينزل بى غضبك ، أو يحل علي سخطك .

لك العتبى حتى ترضى .

ولا حول ولا قوة إلا بك .

فرحمه ابنا ربيعة ، وقالا لغلام لهما نصرانى يقال له عدَّاس :

ـ خذ قطفا من العنب وضعه فى طبق ثم ضعه بين يدى ـ أمام ـ الرجل .

فلما وضع عداس قطف العنب بين يدى رسول الله ، ، قال إمام الخير ﷺ :

ـ باسم الله .

ثم أكل ، فنظر عداس إلى وجه أبى القاسم ﷺ وقال :

ـ والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة .

فقال خاتم الأنبياء ﷺ :

ـ من أى البلاد أنت يا عداس وما دينك ؟

قال عداس :

ـ أنا نصرانى من أهل نينوى .

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟

فتساءل عداس :

ـ وما يدريك ما يونس بن متى ؟

قال المبعوث للناس كافة ﷺ :

ـ ذاك أخى ، كان نبيا وأنا نبى .

فانكب عداس حتى قبل رأس المبعوث رحمة للعالمين ﷺ ويديه ورجليه .

فلما رجع عداس لإبنى ربيعة قالا له :

ـ لم فعلت هكذا ؟

قال عداس:

ـ يا سيدى ما فى الأرض خير من هذا ، أخبرنى بأمر ما يعلمه إلا نبى .

ثم انصرف صاحب الخلق العظيم ﷺ عائداً إلى مكة بعد أن يئس من خير ثقيف .

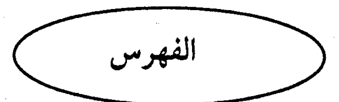
*** عام الحزن :**

ماتت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد وأبو طالب بن عبد المطلب فى عام واحد فتتابعت المصائب على النبى الخاتم ﷺ ، فقد كانت خديجة وزير صدق على الإسلام يشكو إليها ، وهلك عمه أبى طالب وكان له عضدا وحرزا فى أمره ومنعة وناصراً على قومه ، فلما هلك أبو طالب نالت قريش من أبى القاسم ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به فى حياة أبى طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر التراب على رأس إمام الخير ﷺ ، وكأن عام الحزن هذا كان نهاية عون الأرض والبشر لحبيب الرحمن ﷺ وبداية عون السماء .

* * *

المـــراجـــع

* القرآن العظيم .
* تفسير القرآن العظيم — ابن كثير
* صحيح البخارى .
* صحيح مسلم .
* كنز العمال — الهندى
* الجامع الصحيح — الترمذى
* السيرة النبوية — ابن هشام
* سيدات نساء أهل الجنة — عبد العزيز الشناوى
* الروض الأنف — السهيلى
* السيرة الحلبية — على بن برهام الحلبى
* أنساب الأشراف — البلاذرى
* المسند — الإمام أحمد
* قصص أهل النار — عبد العزيز الشناوى
* لسان العرب — ابن مندور
* البداية والنهاية — ابن كثير
* العشرة المبشرون بالجنة — عبد العزيز الشناوى
* الكامل فى التاريخ — ابن الأثير
* سنن ابن ماجه
* المعجم الكبير — الطبرانى



الفهرس

الموضوع **الصفحة**